

المراهقة



يهوسف أسخيرة

المراهقة

يهوسف أسخيرة

المراهقة شيء عظيم خصوصا
حينما نبدها في أشياء
عظيمة، لكن معظمنا اليوم يبدىها
في المتع الزائلة... حاول أن تقود
مراهقتك لا أن تجعلها تقودك.

Type equation here.

Type equation here

المرافق

الكتاب

٢

يوسف اسخيرة..

الى اللأحد:

إن الفرط في إحتساء خمري ؛لا ينصبك زعيما على
رأس الثمالي ، ولا حتى في أن نلقبك بزبوننا الشره ،
فأثمال يثملون بفضل الخمر ذون أن يرو نوعية
الزجاجة!

أو حتى نوع الخمرة ! فنحن لا نثملُ من له الرغبة في
النسيان ، أو في الثمالة نفسها ! بقدر ما نصبو
لإنتشالك من ذلك القعر الوسخ من الحياة ،

فنكسبك مناعة كأنك إنعدمت وولدة مرة ثانية..
بمناعة جبارة لم تستحوذ عليها أي ذات '

فالمراهقة ثمالة من نوع آخر ، ونظرا إليها الكل قد
ثمل ،

فلا يجوب النظر سوى فيما بعد الثمالة ،

ولا يهم في نوعية المثمول ، وهذا النوع هو ما يرقى
له تفكير ، إن زجاجتنا الموعودة ماهي إلا أجسادنا
النحيلة التي تتراطم فيها جزيئات مراهقتنا وشيخوختنا
، وحينما يهدأ التصادم ينعدم إنسان ؛ خلل مميت في
تركيبة إنسانية ، كن أنت المبدع لتحل لغزي أعلم
قدرتك على ذلك!

صديقي !

**أتعلم لمن أكتب كل هذا !
بالطبع لا أكتبه لشهرة ،أو لأنافس أحداً ،
أنا لا أكتب لمن يود أن يقرأ؛ بل أكتب لمن يشعر
ويتحسس!**

فجميعنا نقرأ ولكن القلة من تستشعر"

~ ~ ~ ~

كل من دس في أعماقه شيئا ولم يخرجه للبيع*
ولم يساوم على فقدانه ؛
إستمر عزيزي!

هذا الكتاب أم يكتب له الخروج إلى الحياة، فقد ظل
في سلة المهملات لأنني اقتنعت للحظة بسوءه
،ولكني تناسيت أن ما يكتبه المرء عادة يحمل
أعظم مالا تحمله الوجوه.

بين الضفتين**

كان الجو معثما ، وكان الحذر واجبا !
بين الضفتين كان العمر !
مماثلة سوية في عمق الخوف ،
سفالة إبتعاد ، وضرورة إرتماء ...
الشعور بإنفلات وأقدام متبته ...
الرعب ينبش أعماق ...
بين الضفتين يولد إنسان !
ويموت إنسان ؛
أشبه بخندق عميق لا نهاية له ؛
تنعدم الحياة في الخلايا ،
بعد جهد جبار للوصول الى العهد ..
تنازع نفسها في كل خطوة تخطوها ،
حتى أنها وإن وصلت الى النهاية ،

بدت منتهية ، غبار متناثر على أرض ،
إنها الروح تقاوم عدمية إندثار...
بدى المشهد دراميا حتى عند ملائكة الموت ،
تركوها تستنجد ، حقا بدت رائعة عندما كانت تكسب
إشفاق ، ..
قالو ، دعوها قليلا ، لنرى هل ستموت كالباقي ،
أم ستنجو من الباقي!
سمعت هذا ، ...
فسقطت على أرض ، مستسلمة ،
أعجبها إشفاق...
نالت المراد...

بين الضفتين !
بين الثانية و الموقف ؛
تتحدث إرادة ، تنفصح عن نفسها ،
فإما أن تصبو الى الأعلى فتأخذ موقعها
المصوب ،
أو الى العمق في إتجاهها الخاطئ...
7

بين الضفتين ...

يولد إنسان ، وينتهي إنسان ،

بين الضفتين ...

ينهار إنسان ، و تتحلل نفسيته ،

بعدها كان القوام مستقرا، تم بدى بعدها يختزل
نفسه في كل ثانية ،في كل حدث يتولد من نفسه
فيبدو وقحا بين الكبح والتحرر...

هذا الشيء ،

الذي أبدو بداخله كقندس منحوس

يجري وسط دولاب دون توقف..

عيش وسط دولاب ،

حياة دولابية ،...

..

إستمر العجوز بزيارة المقبرة ،

بدى للكل أنه يزور أحد أقاربه ،

أو أطفاله

لا طبعا كان يتراسل مع الحفار ...

كان يوجهه في تصميم قبره قبل الموت ،
فقال له في إحدى قوالب :
صديقي ، بين الضفتين أوجد، وبينهما سأعدم ،
أكتبها على اللافتة بعد موتي ، ولا تكتب
إسمي...
ليدرك إنسان أنه ليس حرا البتة

حتى في الموت !
قصد العجوز حديقته المألوفة بعدما إرتسمت
البسمة في وجهه حينما رأى ضيق قبره و
عمقه

أفتطر على العدم ، فلم يجد سوى البسمة ،
ليرسمها على تلك الملامح التي شوهتها
الضفة العليا و أنهتها الضفة السفلى....
ما عاد في مقدوره البقاء على قيد الحياة ،
بدت مخالفه صدئة ، ومهترئة حتى في التمسك
بها.....

كان القلق يستنزف الموقف ، و كانت الدموع ،

على وشك إنطلاق في مسيرتها للكفاح
،في تلك أرض الجافة ،تلك الخدود
القافرة ،التي لا يصلها سوى الملح....
بشاعة الإلتواء في جفونه ،
وتموج المد و الجز في ألحان
نظراته....

كل يوم يقصد المقبرة ،
يأتي يائسا ،ويعود مبتسما ،
يفرحه خبر موته ،...
بين الضفتين ،

بين
الزمكانيات ..

متى ينهار
القوام ؟

حينما يعجز عن مواصلة
السير ...

أثناء إرتماء تبدو النفس
مرتعبة الى درجة إمتناعها
عن قبول بالخوف ،
في ذلك القلب الفكاهي ،الذي
يغدو فيها محرجا.....

عند إستلام ينفي الطرد الى اللامكان
يبدو غير مرغوب فيه ، .
ولكنه يسلم برغم من بشاعته تلك....

استنفذ العجوز عمره في إنتظار ،
انتظار عدمه ،بثمره وحليبه،
بتجهيزاته و تصاميمه لقبره ،
فجاءت اللحظة التي كانت المنتظرة ،
فضاق نفسه وظن أنه سيموت ،
فلم يجدي معه شيء ،
فخرج من المقبرة حزينا لأول مرة ،
وهو في طريق إتقى بعشيقته
التي كان يحبها في شبابه ،وابتسم لها ،

وابتسمت له ، اقترب منها بسرعة وبلهفة ،

ما عاد يريد الموت !

كان يحتاج للحب ليس إلا ،

وقع بين يديها ، سكتة قلبية أودت
بالمسكين حتى قبل أن يمارس حبه
الشبابي....

نسي الحفار المقولة ، وكتب فوق اللافتة ...

العاشق المجنون!

...

بين الضفتين.

الإنسان أشبه بالوادي الذي ينبغي على النفس تجاوزه ،

من الضفة السفلى الى الضفة العليا...

أشاعير تنفك ، فتعود منكسرة الى العمق ،

في تابوتها المظلم ، القاتم الذي لا يبدو سعيدا

للعودة الى القعر... مع خيبته في الإرتقاء خارج

الوادي ...

انبعاث مفاجئ في قلب الشغف،
ارتقاء على وشك إرتماء ،
الرعب وراء الكواليس،
فشل إرتماء ،ضعف إرادة...

نهاية النهاية ،و البداية من جديد.....

بدى الوادي ضيقا من القعر ،و حينما ارتأيت لنفسي
وصعدت الى الضفة العليا زرع الخوف أصدوقتي
،فبدى واسعا حتى الجسر به لن يسع امتدادا لربط
ضفتيه.....

بين الضفتين ،

يولد إنسان راقيا ،فيغدو بينهما منحطا...
عند التجاوز قفزة ،تلك هي المقصودة...
التي على كل منا إستعداد قبلا لنيل منها ،

.....

بدى الواد ينتظر مني النزول اليه ليوقعني

في فخ الطوفان ، فأغدو فأرا في مفخخته ...
بين الضفتين نوجد ،
وفيهما نعلو ، ونسقط !
فننهض متعبين ، مفرطين في إنفعال ،
بشغف أقوى وآلام أقوى ،
وجادبية تسحقنا بعنادنا ، بدت معجبة بالمنظر
أثناء السحق ، الحشرااات...
إنفكاك وزعزعة في غريزة الخوف ، تقفز نشيطة في
صراخها العنيف ،
فتستمر في الإفلات والهروب من الخطر ...
خطر الطوفاان.....
في كل عمق يوجد طوفاان ،
يستمر في كبت نفسه ،
قمع حيويته ، فتبدو أشاعير غارقة دون نجدة ،
تصرخ أنجدونا ، العقل يتفسح ، يتمتع بالمشهد...
بينما الطوفان يسد عمق الحلق ،
السد عاجز عن الكبت ،
فوق السد يميظ الطوفان يديه فيدمر ،

ما تبقى من العلاقات ،من البنى النفسية...
من الأشياء التي ننسى أنها تسكننا...

الضفة التي تبدو بعيدة عن خطواتنا، نلتمس أعارها
بأنظارنا..

فترغب في إطاءها فأقدمنا ،...دون جدوى..

بعيدة لألا تصلها سوى أنظار..

روح تظمحل في الزمان طولا ،

فتفسد أنقاض الجسد فيعكر صفو المكان ...

أنهما الضفتين ،

أثناء اللحاق باللحظة وعند تحلل الذات ، ومفسدة الروح
،تتولد أعفونة.....

سجل بطولي لتلك الذات التي ولدت بطوفان ،

وستتعدم بجفاف و القفار...

من الصعب حقا الموت ،ونحن لا نحمل شيئا فينا !

فارغون الى حد العبث ،لنندم على هذا إسراف في

العيش ،في التأمل ،في إيجابية

أثناء النزول وبعده"

النفاذ الى القعر يستلزم القدرة ، و الصعود الى
القمة نفسها تحتاج لذلك...🌿

في القعر بدى السطح خلافا للغاية ،
عظيما كفاية ليمنع أيا كان من تسلقه ..
رهبانا ، و خوفا يستشعره الرعب نفسه...
أثناء النزول ، وأثناء إنبطاح للعودة الى القعر في سرعة
متلهفة لإزالة تعب المرتفعات...
فأني يكن ، هنالك من لا قدرة له على إيقاع السفوح ، فقد
ألف إيقاع العمق ، السطح المستوي ،
الذي يبدو هادئا ، ليرغب فيه كل من أحب الإنبساط
، ونفر من الدوار و التقيؤ في أعماق ، ..

عند إتخاده السفح لأول مرة ، بدى شغوفاً ،
بعدها ألف الإنبساط وإستولاه الهدوء ، ،
....أتاه الدوار في شكل نسيم براق ،

فلم يحتمل إغراءه ، وإستسلم لمفاته ...
فلم يكن أحسن من ذلك المحتضر
الذي ينتظر دوره في أشواط إضافية ،

لم يستوفي القدرة اللازمة ليطأ الأعلى ،
بعدما أثملته الأعماق ، .

كان على إستعداد ليتخلى عن هدوءه ليفوز بجلبية السفح
،حتى وإن إكتسب القليل من الدوار ،
حتى وإن أوصلته قدماه لتقيؤ من أعلى ،فيسقط قذارته
لتملاً القعر..

.....

عندما بلغ السفح ، وإنتزع الهدوء من نفسيته ،
فأدخلها في عمق الطوفان... تتراطم أشاعيره بين المد
و الجزر، أمواج متلعنمة ،الصمت يخيم على
الموقف....

أثناء النزول و بعده !
عند إلقاء النظر بعيدا عن القمم،

في إتجاه العمق السحيق ،
والشعور بالتنازع الخوف بداخلك ،
والرغبة في إبطاله بكل وسيلة أمكن ،
أنه فضيع للغاية لألا يسمح لأحد بأن يقدم على فعل
يحبه...
رهبة أعالي ، وعظمة السفح ،
شعور الذات الأصغوري ينفث شرارات
مؤلمة تسجن الذات في خوفها من القمم ،
براءة المناظر تسحق الأنفس ، فتتراكم
بما تجعله يستقر في الذات ، حتى أنها تفقده براءته ..
تمتص عقب المناظر لتصبح مألوفة بعدما أشغف
بها النظر في أول مرة...
فيا ترى أي منظر جعل من الخدود تقفر ، خجلا من
عظمته!
وأي منحدر إعتكف منع السفح من إلقاء ذموعه ،
اتناء مزاولتك لطهارتك السفحية ،
اياك والنزول الى عمق الفساد ، فطهرك غير قادر على
إستحمال العدوى وبالطبع ستنتقل إليك
لنتجرع الفائدة من بعده .

العصر !

مهزلة العصر ، ولادة في الموت ﴿﴾

أعاصير تحتك ببعضها فيتولد

الدمار ..

حرب طاحنة تذهب الذات ضحيتها،

في عراق مع النفس لتجد مصبا لها ،

ينقطع المنبع ،فتختنق من فرط كرمها...

حينما تبدو كذلك !

بعدهما تنشق أرواح ، تتدمر أشاعير ، فيبقى الرماد

دائعا في كل حين !

حتى أننا نفرط في كبت الدمار الذي يشعرانا بالهلاك في

كل تانية منه ...

حينما نبدأ في القمع !

أصرخ في الليل ، في تلك العتمة التي تسد حلقي،
فلا أحد يراني ،أنا وصراخيكم هوجميل أن
تصرخ وسط الليل دون داعي للإجراج ،عبوس وبكاء
،أنماط من الأزمات القلبية و يد ترتجف فوق الصدر
،الظلمة ...لا أحد يراني.. عزيزتي...بات أمر مسموحا
به ،لنا نحن الدين لا يجد الصراخ في نهارهم متسعا
،الا لقليل من الخجل...
لن تخجل وأنت لاشي*

لن تكون خجلا مادمت تتماهى مع ظلمتك ،انها تحجب
كل شيء ...صديقي.....
حينما تنجباك الحياة ،بعقل شائخ وجسد مراهق ،
تكون المهزلة...
يصبح عليك أن تتفادي أن تختلط بين الرعاع لألا
،تموت بإفراط غيابهم ،

كان المراهق يحاول سد تغرة في نفسيته ،
تلك التي تسعى للخروج بكل شراسة ممكنة ،
بدخوله وسط المجمع ، وسط الفكاهيين الفاقدين
لموهبتهم ،

فبدت نفسه له بين القطعان ، فقال ؛

البشر أشبه بسرب نمل يقطع الطريق ،

فأي تكن هوية المار فإنه يكون المجرم ،فيدعس القليل
من النمل ،وتبقى الأخريات على قيد الحياة ،فيأتي
شخص آخر ليقتل ما تبقى منهم... في كل ذهاب يقتل
البعض بدعسة من أحدهم وفي كل إياب يموت البعض
الآخر بدعسة من آخر...

لن يتوقف السرب ،تموت إحداهن فينظرون اليها لتانية
تم التجاوز ... "ثقافة النمل أعظم مما نتخيل "

الحياة تكون الداعس ، فهل أوجدتم ملامح القاتل يا
سادة!

بدى محترفا في إخفاء وجهه حتى ما عاد بان منه
سوى أرجل التي تدعس...

.....

بدأ العصر في النهايات تخونه الكلمات ،
فقدت الكلمات أرواحها ،جثة متناثرة وأعضاء منفصلة
,

حرب أو هام تستعد لتختتم المشهد،

الغنائم بعض الجثة المقرفة ،التي كانت ولا تظل مقرفة
حتى وان أعادو اليها مالكتها...
بين الحقيقة والوهم يوجد جدار سميك ،
يعجز إنسان عن تكسيره ،
العجز ليس بأمر الصعب ،
بل الصعب ، في تكسير تلك القناعة المألوفة للوهم،
الحقيقة وحش، ونظرا اليه ،فإنه يرعب الجميع حتى
من بعيد ،...
فوق الخشبة الكل يقول الحقيقة ،
وتحتها الحقيقة عاهرة !

العشريني ؛»

انهم في أمس الحاجة للحياة ،
بدو في فترة نموهم مستغرقين في بدل الجهد للزوال
،وحيثما شاخو وهرمة أفكارهم ما عادت لديهم القدرة
على ترك هذه الحياة ،
متمسكين فيها بأنيابهم الصدئة ،
كان أمر يائسا من حاله ،حتى بدو له

أشبهه بعنزة عجوز تعاند لألا تسقط بين فكي
الذئب متمسكة بعشبتها اليابس .

تخيلو المشهد ،الدرامى البائسة...

في البدئ تكون الحماسة مفرطة في الزوال
،وفي النهاية تتلاشى لتعود حماسة بنفس القوة
مع الرغبة في إبطاله ،

الفرصة التي تحاول إعطاءها لذلك الأبله ،
هي التغرة التي سيلجك منها ذلك السهم المسموم ،
الذي يصعب النجاة من إختراقه ..
كونك تعطي العديد من الفرص ،
لا تعتبر كريما ، بل سادجا يقنع نفسه
بكرمها الزائد عن حده...

فتى في العشرين ، جسد متواز سليم ،
العقل ينبض والقلب يفكر ،
تركيبية ظاهرة ستار حاجب ، يخفي ما
وراء الكواليس ..
أزيلو الحجاب لنرى العهر يا سادة،

ترون أنه ما بوجوده هادئ دون جلبه ،دون
ضجيج ... فقط الصمت ، لاشيء يندندن حتى الدبابة
التي دخلت من تحت الستار ،

منعوها من التنفس

بدى الجو ملائما لتسقط التفاحة ،

على رأس أحدهم فيصرخ قائلا ؛

اوووه نحن أحياء....

لم نمت بعد!..

ارتد المراهق ما بين أزقة قاصدا عمق المدينة ،

فأخذ يستشعر قدميه ، في كل خطوة يخطوها ،

مبطناً في مشيته ،وسط شارع مزدحم تنعدم فيه

الملاح،الكل يمر من جانبه فيصتدم بنظراتهم ،

فيأخذ في نفسه ويمر من وسط المارة ،

إنه أشبه بطيف يدخل أجساد ويخرج من الجهة

مقابلة

حاملا معه بؤسهم وكآبتهم ،

كل شخص ينغمس بداخله يأخذ منه شيئا ،

شيء فضيع لا يهب بالكم لأبعد!.

...

راكم الوغد الكثير من أشياء ،
وعاد الى منزله في قمة المدينة ،
في الطريق استنفذت الكوابح نفسها ،
وماعاد باستطاعته قمع الفيضان ،
فأخذ يسرع في دخول غرفته المعتمة ،في زاويته
المظلمة ،

فوق سريره البارد العفن ،
لقد غفى المسكين وبه حرب طاحنة ينعدم المستسلم
فيها...

أتلج جسده ، وإرتعشة أشاعيره ،
ضميره تالف في مكان ما!
يده تحاول السيطرة ولكنها تعجز عن التوقف
إنها تسحق بقبضتها الجسد ،بجلده وعظمه...
يبدو كنييا للغاية ، ألم قبضته لا يقارن بمجزرته
النفسية، حتى ملامحه تعجز عن إبانة نفسها في تلك
اللحظة تحت حركة الجسد الذي ينكمش فوق السرير ،
دخل الوقح في اللحظة التي بدى فيها المراهق
عاجزا عن الشعور ، عاجزا عن أمل ...
فاقذا لصباااه ..

إنتهت اللحظة ونام المتغطرس مع ركامه ،
و بداخله بركان هائج ،تتصادم فرقعاته الحممية فتصعد
الحمم الى القمة ،
فينهض المراهق غافلا في نفسيته ،
ليتقيأ ركامه و رماده ،
ذلك الحطام الذي أنبتته التراكمات اللعينة ،
بدى أمر بداخله أشبه بمنتهى حرب لمت جميع شتاتها ،
لا ناج فيها ، حطام أجساد ،وبقايا جثة متناثرة في كل
مكان ،
منظر مرعب ،حتى أن من لا رغبة لك به حينما يراها
بداخلك ليتركك علوة دون تأخر...
خرج الى المسرح ليمون على الشوارع ،
و يفرغ ما بداخله ،
فراه الحشد من الطغات ،
فصرخو في وجهه عد الى كبوتك أيها الوحش،
بدى فاقتذا للونه ،وشخصيته،
حتى أنه بدى لألائك الدين إفتقدو نفسيتهم الكئيبة ،
شيء فضيع للغاية ،بمثل ذلك الوحش الذي يقوم في كل
قرن يخيف بعض الأرانب ،ويعود لسباته أبدي ،....

كان الحشد يكرر بطلاقة وهجانة طبع ،
أرموه بالحجارة فقد نفسه في حربه معها ؛
وهم الدين أنقذهم من أنفسهم حينما
غاص الى عمق ذناباتهم فرتأت العدوى
أن تنتقل الى المسكين....
البعض يرى في إحتقار الناس مفخرة ،
إرتقاء لكبرياء فاسدة ، فيصنع لنفسه
كبرياء تصلح لتكون أقراط في أذان البقر ،

،

لسنا ممن يبدون يائسين لنهدر أكاديبهم
،ولكننا نحن من نسمح لهم بصنعها ،
نسمح لهم بإحتقارنا ،بصنع تلك الكبرياء المزعومة...
إعطاءك فرصة لأحدهم أشبه بغزالة ترقص أمام
قطيع من الأسود لتعطيتهم فرصة للصيد أثناء شعورهم
المفقر بالجوع

حينما نصمت

متى نبدو لهم لائقين ؟

حينما نصمت ،نوشك على أن نكون

قططاً مطيعة، تحاول إقناعنا بالفرك
على بطونها لتتعم باللذة.....
الصمت لغة ،
الصمت قناعة ، ..
بين الصمت توجد الحكمة ،
إما أن تلبسها لباساً فضفاضاً ،
فتبدو بها غيبياً ، مطيعاً بعض الشيء..
وإما أن لا تلبسها شيئاً ،
تدعها عارية تماماً ،
فتبدو بواقعيته و حضورك الذاتي....
إصطحب الفتى نفسه في إتجاه التجمهر ،
وغاص بأنظاره في أرجاء ، فأخذ ينظر
الى تجمهر عنيف للكثير من الناس الذين يشاهدون
إحدى القوالب الكوميديّة للقليل من الهواة ،
الكل منتبه الى تلك النفاهة ،
شخص يلعب دور المهرج الغبي ، والآخر المغفل
الطبيعي، فيقوم أحدهما بفعل غريب ،
ليضحك الجمهور ، لا طبعاً

ليكسب القليل من النقوذ،
فيما مضى كان للتهريج هبته، ولكنه الآن ما عاد يمتنع
من أن يكون مجرد مسخرة ،
الكل يصيح أين الفتاة هاهاهاها
أوغاد بالفطرة
رفع الفتى أنظاره ليرى الفتاة ،
فنكشف الوجه الحقير للكبرياء ،
مهرج لعين يلبس حمالة صدر وشعر مستعار...
ليضحك أغبياء.....
النقوذ في طريقها الى القبعة المحطوبة
في أرض... الإنسان في طريقه ليفقد ما تبقى من
كبرياءه...
ضحك الفتى وصمت ، إنتهت الحلقة ،
المهرج يلعن من لم يعطه النقوذ ،ومن بينهم الفتى
وقف الفتى ليرى عرضا دراميا ،
روميو و جوليات !
جلس بين الحشد ،
الكل يدندن ،والترترة لا تنتهي ،

فتاة تصيح في وجه صديقتها ،
سأبكي ،أوقفيني عن الصراخ ..
شابين يتغامزان ،لإيقاع إحداهن في فخهما ..
عجوزان نائمان أمام المشهد الممل ...
حضر المتقف ،
صاح في أرجاء ،
انها ليست مسرحية تستحق كل هذا إهتمام ..
فجلس بجانب الفتى ،وبدأ بلغوه ،
فحتدم الحديث بينه وبين الفتى ،
الصمت يخيم ،
بدى المتقف عارفا لكل شيء ،
ضحك الفتى ،وقال ،
حينما تبدو سارقا لإحدى اقتباسات ،لن تكون أكثر من
غبي سارق وليس متقفا بمعنى الذي تريد إقناعي به
فكثير هم تلك النخب المتلصصة التي تأخذ جملتين من
كتاب ما ،لتظهر للعامة ، المتقف و المتميز ،الذي
يسكن أعماقهم ،...
الوعي لا يكون بنقل الكلام ،

بل بفهمه، والغوض في أعماقه...
صمت الجميع، لقد أفتتحت المسرحية ،
كان المشهد الأول تحلية ذوقية ،
اختبار لنفوس ، وقع الكبش في الفخ !
وقف المتقف فوق الخشبة ،
قدماه ترتعشان بردا ،
الخوف يزعزع نفسيته ، .
ضحك الفتى وقال !
شكرا للخشبة لولاها لما صمت ذلك الترتار ،
القيح..
لقد بلع لسانه ، لم ينعم بصمت منذ أزل ،
فقد وقع في فخ نفسه ،
وترأى للحشد كمهزلة وجودية في تركيبها
المزيفة لدور المتقف المخلص....
إنخرج المتقف وخرج بيكي من فوق الخشبة ،
وقبل خروجه أصمد عيناه في وجه الفتى ،
فرأى إبتسامته المملوءة بالسخرية ،
زادت نفسيته تأزما ، لقد علم الفخ الذي وقع فيه ،

أضحوكة ممتعة لتلك الخرافة التي يسعى المتقف بها
ليقتع العامة بتقافته الجوفاء، فينقلب السحر على الساحر
، فيغدو محرجا ، خجلا من وجوده ومقرفا في أحاديته .

بعد النضوج!

اتخذ الفتى المراهق مسلك الأعماق ،
فتجه في طريق نفسه ،
فأغمض عيناه وبدأ المسير !
في لحظة يتعثر فيكاد يسقط ،
وفي لحظة أخرى يصطدم بشجر ،
أو بأعمدة الشارع ،
بدى للكل مخمورا ، ثملا ،
حتى عيناه ما عادتا قادرتين على البقاء ،
مفتوحتين أكثر من تانيتين،
بعد التعثر ، و السقوط ، تم النهوض ومتابعة المسير ،
أوصلته قدماه الى منزل مهجور ، منزل في الضواحي ،
تنعدم نوافذه ، ويصيح منه ضجيج

كأنه إحتفال بين الأواني ، حرب طاحنة و صراخ يملأ
الأجواء ، ضجيج عفن لتلك القباحة الصوتية التي تلتقي
فيهما صفيحتين معدنيتين ،

فطرق بابه مرتين ،

فلم يفتح أحد !

فنام الفتى على الشرفة ،

بعينيه المغمضتين!

في الفجر وقعت أسماعه بين الصخب !

والصراخ ينفذ الى عمق فيقول أنقذوني !

ليقوم الفتى في غفلته المريعة ليجد نفسه في سريره

البارد المتلج !

فهل ولدت يوماً لتجد نفسك ، لوحدك !

ليس بمعنى السطحي بل العميق جدا!

تجد نفسك إستثناء وراء كم من الأسراب ،

تتلاحق لتدمر نفسها بنفسها !

في كل حرب تشنها أعماق ،

لتعود لتخسر أعماق،.

بدت الحياة أشبه

بدلك الشيء الذي يعرفه الكل ، ولا أحد يعلم من هو!
كانت مجرد ساحرة تقيم طقوسها اللعينة بداخلي ،
كان أمر مجرد إحتفال مع أرواح ،موسيقى الخوف ،
رقص مقرف لأرواح لم تتمرس على فن الحديث
بالجسد

عند بلوغ السفح ،عند بلوغ النضوج ،
يفوح الجسد بملامح الرشد ،فيغدو الوعي ،
سابحا في واديه ؛
فيبدو عدوا لدودا لتلك السداجة الصبيانية ،
فيغزوها بمنطقه المرعب ،ليطردها من أرضه ...
ليعود الرعاع من بعدها ليسكنو على ضفافها ؛
مرة مرة يسرقون القليل من قمحها ،
ولكنه يعض النظر عن قبحهم وأفسودتهم..

النضوج ،مرحلة ؛
فترة بين الولادة والموت ؛
بين الطفل و الشيخ !

عندما يغفو إنسان ، طفلا يفوح عقبه في أعباه ،
فيغدو شابا ، لتلتهمه مراقبته وطيشه ،
تم بالغا ، وناضجا في قعر الوعي ،
وشيخا أفقذه الوعي وعيه !
بعدها سعد من القعر الى السطح ،
تم الموت عندما تفتقد خلاياه وعيها وتدخل في غفوة
أبدية

اين المعنى برأيك ؟

أسألك أيها الهرم الذي بلغت الشيخوخة فيه
أقصى درجات العجز...
ستبقى الحياة في عينيه مثالية كما كانت
عندما ارتمى هو ووجوده الى هذا العالم...
بدت أنظاره مثالية حينما شاخ جسده ،
النضوج ليس استكمالا للوعي ،
والوعي ليس مكملا لنضوج !
فشبل في العشرين يعي أشياء لا يعيها
العجوز الخرف !...
حينما تبدو الحقيقة محاصرة ،

تنزع ملابسها ،لتخيف الأكاديب !
الإسراف في
المفاتيح تجعل القبول سهلاً ،
حتى وإن كانت بشعة كفاية لتخيف
أيا يكن !
اللعب على أوتار الغريزة دائماً يفلح ،
هنا يكمن خطر أنتى !
الإحساس ،الشعور !
انفكاك في سعادة الروح ،فيضان يتلو أعماق
الجسد يقاوم سبل انتماءه للعدم..
بقايا وأشلاء وحطام ،أحاسيس ومشاعر تحت الركام
تطالب بالنجدة ،لا أحد ،
الفيضان يرمي الكل خارجا
مشردون ،ملجأهم الشارع ،
الوعي يبدو مقتنعا بالمزحة ،
في الوقت الذي نبدأ في الشعور ،يسرع الوعي في أخذ
قيلولته ...

نفسية مظطربة !

نخيل في أعالي صامد ،
في وجه الرياح الجاتية،
تغض بصراها فيهب يمينا تم شمالا ،
فينتصب بجوارها لتنام ،فينهض ليقول سلاما !
فنقم مأذبة لندعو فيها الشعور ،
ونقتله فيها !

فهل ليكون إضطراب موجودا ان لم يكن هنالك
مشاعر،!

العلاقة!

ان جودة العلاقات هي في إنتصابها على عرش كل
سلالة، في القمة، بعيدة كفاية لألا تصلها

الدوافع الجنسية !

العلاقة ،رباط ، قيد ، سلسلة بين الجسد والرأس ،

في العنق تماما !

انها قلادة يرغب بها الجميع إلا أن لا أحد يحبها !
جميعهم مقتنعون بجودة الفخ ،ولكنهم يستمرون في
الوقوع فيه بكل فخر وسرور...

ان كنت منهم !

ان كانت في نيتك التمسك بالحياة ،

كعلاقة فأر مع جبنته ،فإنني أشفق عليك ...

وان كنت دليل الشأن في حضور قربانك الصدى، ووسط

المجمع،فإنني أشفق عليك ...

وان كنت غريب الطبع ،حتى أن دوافعك الجنسية
إصطحبت نفسها في مغامرة تفضيلية بين الصديق. و

الفتاة ،فإنني أشفق عليك

في علاقتي مع إشفاق توجد الحرب !

الإنسان ضعيف أمام غريزته !

انه ليفعل أي شيء لمجرد إسكات جوعها وعطشها !

بدوت كذلك !

حينما قلتها بذلك الشكل ،بدوت فضيعا !

العبوس و الكلام الجارح ،مدفعية بكرتها المدمرة

جاهزة لتحطيم ،هكذا رأوني في البدئ !

وحينما بدوت لهم من بعيد ،صاحو في وجه أطفالهم

، اهربو انه المجنون ،

هرع الجميع يركد في إتجاه المخبأ ،
ملجأهم للإحتماء مني!
كانت مجرد مزحة في قالبها الفكاهي ،
مجرد فكرة شرسة إنتقلت من مجرد أقوال سافلة
الى مجرى إنحطاط واقعي ،
فكل يوم أبدو لهم بتلك الصورة انه المجنون !
فيهرعون للاختباء في جحورهم !
روضة أحلام...

طموحات تموت ؛
رغبات تستعد للإنقلاب !
اي شيء تريد فعله يفشل..
رغبة في العيش السليم تفسد نفسها...
استنزفت القدرة على البقاء سليما وطاهرا...
تغلغل العهر في كنف إرادة فما عاد بإمكانها الكف عن
زيارة الحانات..

تلك الخدمة التي لا تعوض ، التي يأملها الكل في
آخرين ،..... بانس ان تكون مطيعا ، في جميع أوقات
،حمل للجميع...

متى يكون على الطموح إبطال نفسه؟
في حالة تعارضه مع الوضع إجتماعي،
فكل فقير يطمح ليكون غنيا ،وكل غني يطمح ليكون
وريث أبيه...

ضاعت الحياة في طموحات لا ترقى لتوجد!

طموحات بسيطة للغاية ؛

بيت وسيارة وأسرة مستقرة ؛

نجبر على الولادة ،

ونجبر على العمل !

ونجبر على الموت!

الطموح لم يتحقق ،

مات صاحبه عندما اتخد الشارع مكسبا لرزق ،

فقليل من انفلت من الفقر في اتجاه الغنى بصدفة ،

وما عدى هذه القلة ،

فالجميع يحافظ على التوازن بين الغنى و الفقر،

فيولد الفقير ،سربا من الفقراء ،

يوصلون خلق العبيد...

والغني يلد من يحمل ثراه...

متى سنتعلم تصويب سهمنا على هدف ابعد من أنظارنا
؟

لن يفعل أحد..

الطفولة

---« ١ »---

«كل شيء جميل في الطفولة ،حتى السوء منها
الذكرة تعرف كيف تجمل الذكريات»

شاخ العجوز ،وما تبقى لديه
في ذاكرته سوى شتات لطفولته ،
السوء منها أما الجيد فذهب مع الشاطئ،
وعاد به ،الى قعر المحيط
ذاكرته ضعيفة حتى ان بمقدورها تذكر الكوارث !أما
أشياء الجميلة ،فذهبت
مع أسماء و ألقاب المعازيم ،
الى مكان منسي ،لا تتحرر
منه حتى وإن أعدنا تشغيل الروبوت ...وولادته من
جديد.
أفاق العجوز على الضجيج الصاخب،

لأطفال المنزل ،متفاجئا !
يميل رأسه يمينا وشمالا ،
فيقول أين أنا من أنا !
خرج الى الحديقة، في حلته المتفاجئة ،
بعينيه المتفاجئتين ،المبهرتين ،
وعصاه المعوجة التي أفقدها الزمن ،
طولها و إستقاميتها أكثر من ضهره المسكين ،
وحيثما أبصرت عينيه الأطفال ترك عصاه ،
في غفلة وراح يركد معهم ،ويلعب كأنه عاد الى
طفولته بعد هجرة دامت سنين. ..
فوقف الأطفال يحملقون فيه ،
لقد جن العجوز....
فصرخ وهو جالس على ركبتيه ،
ويقول ،أين أنتي !
أين تركتيني ومازلت متروكا للآن ،
في موضعنا ،أين موضعنا ؟
وواصل البكاء ،ونام على أرض ،
فلتم عليه الحشد ،من أطفال و الشباب !.

فبدى أشبه بطفل في أشهره أولى وهو يبكي !

بعد إستقائه حمل نفسه ،

و غادر المنزل ليلتقي بحبيبته

بعد 40 عام !

كانت ذاكرته مرهفة لتعيد نسج أحداثها

وهي في العشرين من عمرها !

راح لحديقته المألوفة بيده زهرة حمراء فنية ، ببسمته

التي تفوح عبقا.. وظل فيها للمساء ،

فلم تأتي وأحبط العجوز.....

حبيبته تزوجت وفيما يقارب الإحدى والعشرين سنة ،

بعدها خاتمه مع صديقه الثري ،

ولكنه أخذ من الحب سوى البداية ،

وكم منا يتمنى مثل هكذا فرصة !

لألا نتذكر سوى البدايات من كل شيء...

فنهايات تبدو قبيحة نظرا لطابعها المؤلم ...

في المساء عاد الرجل مع زهرته الذابلة ، ونفسيته

الفاقدة لأوراقها....

وفي تلك اللحظة تغيرت نفسيته ،

فما عاد بإمكانه سوى ان يكون شابا ،
لقد إنجلت الشيخوخة في أعماقه وما تبقى سوى الشباب
....،

الذاكرة تلعب مع العجوز لعبة الغمضة ،
أخذ العجوز يتصرف كشاب العشريني في مراهقته
الطائشة، ودخل مع مساءه الى المنزل
يصرخ ، أين الطعام يا نيام ،....
لقد افقدكم العجز ما تبقى من شبابكم ،
بينما شبابي لا يزال قائما !
فجلس فوق الكنبه ورجليه فوق الطاولة ،
الأمر أشبه بسجن من الشخصيات العزابية
التي كلما تحرك العجوز أخذت تتحكم فيه ...
وتتجسد من خلاله ؛....

فكلما كان يأخذ دورا ،كانت شيخوخته تنزع نفسها
،كأنه يتركها على شرفة كل شخصية ،

فيعود شابا قويا ،أوطفلا بريئا !

. من الصعب حقا إنتزاع الوهم من الحقيقة ،

فهل كنت لتظن في مثل سريرته ،أنك مجرد عجوز
،شبابك و طفولتك إنقضت منذ زمن بعيد ،

فقط ذاكرتك تستعيد نفسها...

عندما نعجز !

عندما نكون عجائز !
جميع ذكرياتنا تفوح بنفس العبق ،
بنفس الرائحة الزكية ،
جميلة ومتالية للغاية !
حتى السيء منها يكون مرغوبا فيها !
آلام المفاصل و فقدان الجسد لقوامه ،
لا نعيده أي إهتمام ؛ بقدر ما نتجه لذكريات ..
ذكريات تعيد تنشيط النفسية ،
بدي أمر مربكا ! عندما تكون النفسية شابة
والجسد لعجوز مسن...

لا أنصح نفسي بالعجز ، فيكون علي أن أعم الجمال
على اشياء لا تستحق مني سوى إدلال

عندما كنا أطفالا ؟

لا أذكر أنني كنت طفلا من قبل !
فقد ولدت شابا وأضحيت كذلك .
قد يبلغ الإنسان من التذكر ما هو أقصى من ذلك ،
ولكنني أعجز عن البدء به حتى !
أفقد ذاكرتي كلما ازداد سني سنا !
لربما هذا مرض لم يسبق أن وجد على إطلاق !
حالة نادرة ، المرض والمريض يحاولان قتل الجسد!
معا لأجل إنعدام!
أخذ العجوز الشاب ، مطرحة ونام في الحديقة ،
وهو يرى السحب الطائرة ، وأشكالها المتغيرة ،
وبينما أنظاره مشغولة بطواف مع السحب ،
ارتدت الطفولة حجابا ، وأخذت تجلس بجانبه وتلاعب
نسائم شعره الأشيب!
فتذكر في بهجته الرائعة ،
نفسه وهو طفل !
حينما إستوت سيقانه،

وتفوت عظامه ،وأخذ يقع في الفخاخ ،
بكل بلادة طبع ،
فكان لا ينام البتة عند فجر كل عيد ،
ينتظر اليوم التالي لينعم بالبقشيش ...
يرتدي تلك الملابس التي كان طوال الليل يحرسها !...
بعد يوم مفرح كذلك اليوم ،تعود النسائم لتدبل ،
وتعود الأيام كما كانت ،صمود أوراق نفذ في الوقت
الذي إحتاج فيها إنسان ليبقى معلقا !

كانت مجرد مزحة غبية ،ولكنها مقنعة ،
مخالصة لأصحابها !
بين أعباه ،كانت دميته،
تلك التي تخيف الوحوش عند قدومهم إليه ،
التي تنعم كل يوم بحضن دافئ،
ذلك الحضن الذي يتمناه الجميع !

كان مجرد دب قطبي ،في لونه الزهري ،
كان الصديق و اللاب و كل شيء ،

للطفل ,انه الحامي المخلص بالنسبة له..
كان أشبه بالحياة نفسها ،
حاجة الطفل لدبه كحاجته ليلعب وهو صغير !
فنومه لا يحلو إلا به !
فقد يظل مستيقظا طوال الليل بدون دبه العزيز ،
حينما كنا أطفالا ،كان أمر سهلا ،
في الحياة ،في العيش بكل طواعية ،
نكتفي بسيارة صغيرة فاقدة لدواليبها ،
نلعب بالثراب ،ونأكل القليل منه ،
كان أمر ممتعا ! ومع القليل من العقاب !
كنا أشبه بالأشبال التي يمكن تحويلها ،
اما لأسود ،أو ضباع ،أو حتى قرودة
كانت جميع السلالات مسموحا بها،
أنت لن تختار من تكون ، ولكنك مجبر على أن تكون
من أحد القطعان السالفة....
بمعنى العيش وفق نمط أحدهم !
و الموت وأنت تدافع على نمط وسلالتك
اللعيبة ،...

فكر في إستقلال عن سلاتك تلك!
لا أظنك فكرت !
أن تكون مجرد إنسان. ولد وسيموت !
من غير دفاع عن أحد !
سلالة ، سرب ، ، قطع !
ان وجدت خارجه تكون بمعزل عن أوهامه وخرافاتاه!
تقاليد ، أخلاق ، أعراف ...
قيود مزعجة تلتصق بالإنسان منذ ولادته حتى وفاته،
فإما ان يكسرها فيطرد من أعماق القطيع ؛
وإما أن يألفها ويصنع منها أساور ليتجمل بها في
الحفلات ؛ وأعراس ...
فينعدم وهو يواصل الدفاع عنها ، حتى وإن لم تكن
مجرد أوهام !.
فإن رغبة في صناعة عظيم أو مجرم ،
تبتدئ من طفولته ، ويستمر مفعولها حتى الشيخوخة ..
فالحسم في الطفولة هو حسم الشباب
والشيخوخة ... الأمر أشبه بأرض تزرعها ،
فإن انتقيت بدورا تصلح وأثرية جيدة !

يكون المحصول بعد أشهر وافرًا وقويًا !
وعكس إن أهملتها ،وأعطيتها بدورا لا ترقى لذلك !

.....

لا تلتزم بالنص!

اعلم ان أفكار التي أتتك أثناء المسير !
وربما أثناء اللعب جيدة لتدون ،ولتنشر !
ولكن حينما تحمل القلم لا تجد ما تكتبه،
وتجد أفكارا بكفاء لا ترقى للنشر!
الكاتب كالمهراج ،نفس الشغف والحيوية الذي يضيفه
على كتاباته ، نفسه نفس الأداء الذي يلعبه المهراج فوق
الحبل ،
النشاط الذي يكتسي روح القارئ، هو نفسه النشاط الذي
يفوح من صراخ الجماهير...

كل فينا يحمل مهرجا ، فإما أن يرقى ليكون فوق الحبل
،أو ليكون تحته!
حينما كدت أولد ،
عوقبت بالخروج الى هذا العالم ،

وقد منعو طفولتي من ذلك !
بقيت مسجونة في بطن والدتي ،
لربما أجهزت الآن ، ولكنني اشعر بروحها تستقر فوق
دماغي كلما نمت فوق الوسادة ،
انا من ولد بدون طفولة ، انتزعوها مني ،
في الطريق ، بصراحة لقد سرقت مني !
لم أكن لأعاند السارق حتى!
ولكنه فشل في سرقة ، كان عليه سرقتي أنا وتركها هي
بدوت دولابا سرق محتواه...
ماهدكا يكون العدل ، فإما أن يسرق الكل أو يبقي على
الكل .

كنا لنفعل....

في مقدور الجميع فعل ذلك

شعرنا بذلك

أشعر أنهم انتزعوا شيئا مني!
ربما جزءا من روحي ، المهم أنني أشعر بملقط يأخذ
شيئا مني..

إنه يمنعني من معرفة من ! وكيف ؟

...بدي الشعور ، نقص في تكويننا الروحي !

لربما خلق فينا ،لنكون غير قادرين على فعل ما هو
أسوء !

هل شعرت به !

أنتظر إجابة؟

لا تحاول تناسي أمر!

أعلم أنك تعجز عن إضاعة وقتي في ترددك،

تشعر بالخجل ،بالإحراج ،

أعلم ذلك !

لكن إلى متى ستبقى تكتمه ، وتشعر بإحراج ،

الشعور بالنقص!

الشعور نقص ؛

لمادا تشعر بإحراج ؟ مالذي يجعلك تشعر به؟

لربما مصاحبتك لأمثالك ،للذين يشعرون بالنقص!

الأخرون يجعلونك أصغر ،وربما أكبر!

لا تفنعي بأنك تتحكم في نفسك ،بل هم من يتحكمون

فينا !

عندما أبدأ بالشعور...

استفحال الشعور بالشعور أسوء بكثير من مجرد
ألم.....

خنجر في الصدر يمزق أحشاء ،
وبركان يستشيط غضبا في العقل فينفت بخارا ألمه لا
ينتهي ، عذاب لا يستحق سوى ان يسوء حاله
لدي ... احب عدايي.

لربما تفعل"

كنا لنفعل جميعا !

بمقدونا الوقوف فوق القمة والصراخ عاليا،

لنقول !

لقد مملنا العيش"

بين الرعاع ، في إنبساط"

لنجرّب القمة في كل شهر ،

كنا لنتسلق أشجار بين الحشد،

لنفوح منه قباحتهم ، فيصرخون في أعماقهم ،

انهم مجرد قردة ، لتعم الفكاهة العفنة ،

كنا لنفعل لولا شعورنا بالخزي أمامهم،

وكنا لنجن في كل اللحظات لولا ،
طبعهم الحاكم الذي يحسم في كل أشياء ،
فإن بدوننا لهم مجانيين ، لأفرطو في طلب
سيارة .. ليتخلصو منا ،
ويسجنوننا في مستشفياتهم للأمراض العقلية ،

هههحقا بدوت كذلك !
رأوني أمشي برجل مرفوعة ، بعدما حقنتني شوكة
بسمها ،
فتهافتو للحديث ، وهم يتممون ، اين رقم طبيبنا
المعروف ، اين رقم سائق سيارة المجانين ،
لقد جن المسكين ؛

السيارة مشغولة بحمل اموات ،
لقد إستأنفت العمل ورمت الجثة في النهر وعادت
لتأخذني ، عمل عظيم ، لسادة العظماء ...
لقد حملت ثرثراتهم بعض الأعاجيب ،
حتى ما عدت أعرف نفسي فيهم !
كانت آدانهم على حافة الإنحدار !

ومع ذلك يواصلون التسمع وفعل خيرهم فينا "
نحن الدين لا نتكلم كثيرا ،والصمت فطرنا عليه منذ
أزل ،
لقد سمعو سقوط صحن وقد كسر ،
فعلم الشارع بأكمله ،فتسمع صوتا يوجب في ارجاء
،لقد كسر صحنه المسكين !
ونشرت صحيفة الصباح مقولة بشأني تقول فيها "
لقد ضرب شاب زوجته بصحن فكسره على رأسها
،ويجب ان يعاقب "
بعد طول إستماع لهكذا حماقة إجتمعت نساء
المدينة وأخذو بإحتاج أمام بيتي !
وانا نائم لا أنعم سوى بالكوابيس...
فأصطدم بصوت مزعج ،أنهن يطرقن بابي بعنف شديد
،لو كنت مكان الباب لما بقيت حيا !
كان أمر مخيفا ، سرب من البقر العملاقة ،
تقصد حقلي الفارغ من السنابل....
ما تبقى فيه ،سوى فزاعتي و غرابي !
أسرعت للإختباء وراء مكتبي ،

فأخذ رجل من الخارج ليسدي للفتية الجميلات
المساعدة، بمظهره العملاق وعضلاته المزيفة .
فكسر الباب ،ودخلن كأنهن يغزون الجحيم ،
فأمسكني المحترف في التفاخر ، ذلك الجسد العملاق
والعقل نملة ، وأخرجني إليهن ،...
وبدأو بالبحث عن زوجتي التي لم أتزوجها ،
فلم يجدو سوى حطام صحن مكسور ،
ضحكت في كنفى ،ونظرت إليهن ،
فصاحت إحداهن ،ستعاقب أيها الوحش !
سجنك للأبد ، لا أقل من ذلك !
وبعد نصف ساعة من التثرثرة اللعينة ،
صرخت فيهن ،
يا لكن من حمقى ،من أين لكم الخبر !
صحني المكسور ؛ سقط لتوه !
فابحثو جيدا عن زوجتي ! لا ازال اعزبا !

فخرجت أنبوتة فاسدة من بين الشجر !
لتقنع الشجر بأنهن على حق ،وأن علوهن هو حق
مشروع !

فقلت ! أين تخبئها ،نعلم أنك تعنفها طوال الوقت ،
هكذا تكون المعارك حامية ،بين الحشد ،دائما يولد
الفهمان ؛ ذلك الذي أعجز عن ان أصفه إنسانا لحقارته
الوجودية ،حتى أن الوجود عجز عن هظمه...أسرف
في أعفونته تلك !

فتشو المنزل بأكمله فلم يجدو شيئا ،فعلمو الحقيقة
،وأخذن يعتدرن مني ! وقبل خروجهن ،
دخلت فتاة المراهقة بعدما أرشأها صاحب العظلات
المفتولة ،لتمتل دور الضحية ،
وصاحت تبكي وتتحط ،
لقد عنفني تلك الليلة ،وكل يوم يضربتي ،لأنني فتاة
مطبعة،وقطة متيرة للإشمزاز ،
وبدأت تبكي والدموع لا تتوقف ،والتعاطف يهجم ،

عُدْنَ وحمأنني بينهن ،ورموني في سيارة المجانين
....،

فسمعتها تقول ،لهن أنه مريض نفسي !

إحمينني منه أرجوكن !

هاهاهاها

فعلت هكذا ! تم إتخذت الكرسي جالسا ،
وضحكت في ملا إرادتي!
وقلت لهن ؛ أي دليل لديكن لفعل هكذا بي؟
وهل الدموع كفييلة لإقناعكن بالحقيقة ،لربما أبدأ أنا
حتى بالبكاء لتقتنعو بحيلتهم،
بعدهما ملت الفتاة تمتيل دور زوجتي المزيف ،
جاء حبيبها وانتزعت الحيلة !
كنا على هامش الذهاب الى الحمقى!
حينما تدخل البطل ليفسد المشهد ،
لقد فضحت الفتاة ،واعترن مني آلاف مرات ،
ولكنني لم أتقبله ،بدوت شريرا للغاية ،
فحملت جنوني بين يدي ورحت ألاحقهن وسط الشارع

"

عاهراااات '

....

كنت لتفعل ذلك أعلم بذلك !

كنت لتكون مثلي ،وربما تكون مثلهن !

يفعلون

يشجعونك لأنهم يفتقرون للقدرة على ذلك الفعل !
على صنع ذلك الشيء. ... هم فقط يحاولون إيجاد منفذ
ليشاركو في الصنع ،بعدما عجزو عن صنعه
بأنفسهم....

حينما تبدو أحمقا "

تنتظر بفارغ الصبر ،تلك الصورة التي
تجعل من أحدهم أحمقا...أتسكت غيابك !
لتضحكك للقليل من الوقت .
قل لهم كيف يفعلون ذلك؟
كيف يحافظون على غيابهم!
ليفرطو في تحويله الى تهريج في حياتهم اللعينة،
لا تكن متاحا في أي وقت !
جرب أن تغلق هاتفك ،و حسابك ،ويومك ،
في وجههم ،فهل سيهرعون لسؤال عنك!
طبعا لا !

فأنت من تجعل نفسك متاحا للجميع !
حتى ان بمقدورهم استغناء عنك في الوقت الذي أرادو
فعل ذلك ...

لا تعطي فرصة لأحد !

لتعيش نفسك ، وتكون أنك بعيدا عنهم ،
وعن أسئلتهم الرعناء ، وعن ممارستهم الفضيعة ،
لغباهم ونفاهتهم

الأمر أشبه بمسرح يتهافت عليه أغبياء

ليسكتو شراهم الكوميديّة ،

انت هو المسرح يا عزيزي ؟

أنت من يلقي فيه جميع نفاهاتهم ،

وأدوراهم التي لا تليق للحياة ،

ولا حتى بعد الموت !

كن نفسك ! حتى تشعر

الشعور بطوفان !

ألم تفكر في إنسياب النهر وسط الوادي ،

فإذا بك ترمي قنينة بلاستيكية ، فيجرها الوادي

في أول لحظة له ، وأول فرصة تقدم له ، حتى انه لا يرفضها ولا ينتظر منك إسترجاعها ..

فلا تأمل أن تجد قنينتك؛

القنينة أشبه بالروح التي يجرفها الزمن !

فينهكها بضرباته ، تبدأ بالخصب ،

تم قاسية وتنتهي لاشيء ، تندثر في الوجود!

غبار يتلو أرجاء ، بعدما كان كيانا !

وصار غبارا !

...

بدو لي كذلك!

انهم في أمس الحاجة للحياة ،

بدو في فترة نموهم مستغرقين في بدل الجهد للزوال ،
وحيثما شاخو وهرمة أفكارهم ما عادت لديهم القدرة

على ترك هذه الحياة ،

متمسكين فيها بأنيابهم الصدئة ،

...

كنا نحتسب أيام التي في نيتها الزوال ،
فأزيلت الأشهر ، ومازلنا ننتظر ننتظر زوال أيام ” ...

كانت الخشبة مملوءة ، ولم يتبقى لي مكان لتمتيل
دوري!

فهبطت بين الجمهور ، وأخذ الكل ينتظر خطوتي التالية
، استلقيت فوق كرسيين ، وبدأت أوجه ناظري للممتلين
، فما وجدت سوى كأنه بركة تتصارع فيها الخنازير ،
كان أمر أشبه بمزرعة !

العشب غائب !

...

الخطر

قد أعود من بين الركام ، سليما ، معافى ، إلا أنني لن
أعيش كما كنت أعيش ...

عند إفلات من خطر إنعدام ، تعود ثمار الحياة لتحيا
بذاخك !

وتعود أضافرك أشد حدة للتمسك بها ، ...

ونفسيك اشد إحتراسا من الفتاتيش "

"أنا"

شخص بداخلي يصرخ وراء قضبانه ،ليس شيئاً وانما
شخص ، لا أعلم من يكون ،ولكنه ينبش أعماقي ليفصح

،

لا اعلم عن سيفصح ولكنني مقتنع بأنه سيحدث
انفجارا مدهلا إن أخرجته الى الوجود ،سيكون هو
الجنون نفسه ،

سأدخل بسببه. الى مستشفى أمراض العقلية ،فيتبين
أنني أستحق أكثر من ذلك ،فأخذ الى السجن بتهمة
إفصاح وتضییع وقت المرض !و الجنون معا !، لن
يكتفو بذلك سيعدمونني وأنا نائم فوق ذلك السرير في
الزاوية .لن يغط لهم جفن قبل ذلك اعلم بذلك ...

سيكون علي زيارة الجحيم وأنا نائم ،

وسياخذني ملاك الموت من سترتي من العنق تماما
،فيلقي بي الى الهاوية تلك اللامنتهية ،

تم يشعر ملاك الموت بالذنب ،فيستعيدني ،

من بين يدي القعر ،

ويخرجني الى الحياة....

لم أكن أستحق العقاب ، أخرجته ليعاقب "

أعيدوه الى الحياة " ليستمر في العيش انه عقابه "

صاح الجمهور والضجيج يعلو في الخارج ،

إستعدت لمنعه ،وفتحت باب منزلي ،لأهجم على
الصارخ وأعطيه درسا في الهدوء ،فوجدت الكثير من
الناس واقفون ،امام منزلي ،فستقبلتهم والدتي ، و
السبب مجهول ! بدى الصمت يسكن جميع أعماق ،
والكل يرسم على وجهه ملامح الحزن والكآبة ، فقال
أحدهم ،أجركم الله في طفلكم المراهق ،كان فتى وقور
،.....اوووه من ؟ الوقور !

انه أنا ! المدعو بالوقور!

كنت ميتا عندما فتحت لهم الباب !

قالو أنه إنتحر بجرعة من يأسه !

بدى أمر مرعبا ؛ صراحة لقد أخافوني ،حينما أخذو
يأتون في أسراب؛

أحدهم جاء ليسكت جوعه وراء المائدة،

وآخر ليسكت جوعه في الحزن،والياس !

وآخر جاء لينال القليل من السعادة لقد مات عدوه

اللدود...

كنت لأمنعهم لتجمهرهم في بيتي لولا
ما وقع في أسماعي من مديح
كان وفيها لعزلته ،كان وفيها لشؤمه،
لم يكن مجرد إنسان !
كان القطيع في الضفة اليمنى وهو في الضفة اليسرى ،
هذا أسوء فيه !
بعد يومين ، نسي الميت!
لقد إنتسى المسكين ،
بدت دكراه محفورة في تقارير الإحصاء للوفيات ،أكثر
من ذاكرة أقرباءه !
نشكر أبحاث !..
حتى لمجرد أنهم إحتسبوني لمجرد رقم ،
المهم أنهم تذكروني ،حتى وإن كنت رقم
كنا لنبدو شاكرين لو تذكرونا ،ولو برقم ،او
حرف،لربما بقشة ، ولكنهم يثعبون أنفسهم عند
المحاولة ..

الجنون

بدى أمر مشوقا؛

فإن كنت أي يكن ،فقد تكون سليما ،معافى ،

بالقدر اللازم ليغير أحدهم موقفك وسلوكك!

ولكنك إن كنت مجنونا ،

فإنك تجبرهم على إقتناع ،بأن لون البحر أحمر ،

وبأن لون السماء زهري،..

الجنون ،أفخم من أن يعطسه أحد وهو يأكل

جزءه من البيتزا !.

كنت أتخم بعدما أشم رائحة الموسيقى ،

تلك الأعزوفة التي تبعت الحيوية في الروح ،

لا أعلم ماذا يحدث ؟ ولكنني أشعر براقصة لا تتوقف

بداخلي حينما تتوحد الموسيقى مع إيقاع !

الجنون جنوني والوعي وعيهم !

منبع قد سد ،لقد جفت أراضي الحقول تصمد في وجه

الجفاف ،الغربان آتية في الطريق...

لمادا الجنون قبيح والوعي جيد؟

لمادا لا نحتسب الجنون على من نشاركهم أكسجين ،
كما نحتسب وعينا بشرط و عيهم!

بلغت ما قد يبدو لي غير ناضج كفاية ،

ولكنه بمنتهى إنزواء ،كان قد أشعرتني بالجنون
للحظات

خكنت أضحك أثناء نومي، وأبتسم عندما يموت أحد!
لا أشعر بشيء، أرض مهجورة مات فلاحها عندما جف
نهره،

الموت هو الخلاص والنحيب من بعد الميت مجرد
تضييع للوقت ...

وقت ماذا الذي يجبرني على إفصاح ،وهل في نيتكم
تصديقي إن قلت أنني لا أغفو أبدا ،بل أموت في كل
غفوة!

عندما تجن سارفع لك القبعة!

أتعلمون ،يا من أسرفو في تصديقي!

أنني لا أشعر بكم !

فقط استشعر نفسي ،كأنني طفل حديث الولادة،

ذلك الممياء المكمم بقميصه من عنقه حتى أخمس
قدميه، كأنه المجنون الذي يساق الى مستشفى العزيزة !

بدوت كذلك!

فلو رأيتموني وأنا مربوط ،لخيل اليكم ،
أنكم ترون أنفسكم وأنتم مجرد أطفال مالبتو في
القارورة ليوم واحد!

...

أعرف أنكم تعرفون!
الجنون درجات ؛ الحاد ،والبسيط ،
والشبه بسيط ،و سبونجبوب ،
وحتى شفيق....الخ..
لا أعلم مقياس جنوني ،ولكنه يعلم أنه يواصل الزحف
من فوق السدود ،
فهل أخبركم عنه أم ماذا؟
أعلم انكم تنتظرون لتضحكو علي،
لتجعلو مني نواة فكاهتكم في أحاديثكم مع بعضكم ،
أثناء جلوسكم تحت الظلام ،بجانب البحر!
لتحكو قصتي بشكل مخيف يهز الأبدان ،
في وجه ناركم تلك!
حسنا واصلو السرد ،أحب الإثارة ،خصوصا
تلك التي يكون عليها الخصم ...

المقاوم"

اتعلم من هو العظيم هو الذي يقاوم "

**

ذلك الذي يصمد في الحرب وليس ذلك الذي ينتصر
فيها بسهولة ،

حتى وإن بدى خاسرا ،يصمد حتى آخر عرق ينبض
في أوردته!

هذا هو العظيم ،من ساوم حياته على حساب
شجاعته،انه الذي بدى للكل خاسرا في النهاية ،

...ولكن إسمه ظل خالدا..

حتى وإن بدى أمر مملا ،ولكنه كاف ليأخذ

إعتباراً..

العمق"

السقوط في واد عميق دون توقف!

الروح تهتز وتطفو فوق القعر ؛
الأمر مخيف إلا أنه ممتع ،
السطح مظلم ، و القعر مظلم ،
فقط الساقط من يستشعر القعر !
ونظرا لهذا الساقط لا ينجو في الغالب من السقطة،
هذا الذي يبدو ملعونا حقا ،
بين السطح والعمق يوجد اليأس ،
والندم!
أما الخوف فإنه يسكن السفح ، ولا يميظ لتامه عليه!
الفقرة لا تزال طويلة ،
بين النهرين توجد اليابسة ،
فيا ترى أين قعرهما . ؟

في الوادِ !

كان النسيم يركد ، وكننت أنا خلفه ، الحقل شاسع
، والرغبة ضيقة ، المطر ينسحب لألا يفشل مخططنا
الرومنسي ، بدى إخضرار يجهز العرش ، والحيوانات
تترفض الغريزة ، العطش قادم ، والجوع مات ؛

صفيير وأنغام تطربها طربا جدران الوادي.
فتصرخ الرياح ، فيأخذها الوادي ويصنع منها ألحان،
كنت لتخاف لو مررت بنفسه ...
الرائع في الوادي أنه يقضي على الجميع ،
جدوع أشجار ، حمقى، أغبياء...
المهم أن تقف في وسطه وتنام لتموت وأن تطفو
إما بالفيضان ، أو الخوف !.

الطوفان

أشْفَقَ على من هَدَّه الرحيل ، ولم يَهْدِهِ صُراخ
دلك الفيضان «

ان الميل لإبداء تلك اشاعير التنتة ،
في كل مسرحية درامية ، تلك التي تبدو فقيرة بدون
معنى ، كوضع الملح فوق الرمل !
أشبه بحماقة تستنزف وقتها لتبدو ذكية !
لتبدو عاطفية ، لنصفها نحن الدين لا نهتم لشيء ،
باللامعنى الوجودي!

الطوفان !

أشياء تطفو فوق ! وأخرى تستغرق وقتا للغرق !
بدي الذي يطفو يثقن السباحة، والغارق يثقن الغرق!
الطوفان ليس ما يبدو لنا طوفانا !
هنالك طوفان لا يعلم به الا وادي!
ولا يدمر سوى الوادي!

إنه المقصود ؛

أثناء الغرق وسط الوادي بين الضفتين !
ينجرف الوجود ،ليتهكم وجهه وتنخلع عنه حلته !

فيبدو جثة تتقاذف بها أمواج الطوفان ؛

تلك الجثة السرمدية ،

تلك التي لا تبدو للعلن ،وتقع في داخلنا جميعا ؛

نعم إنها هي ...

المنبטحة في أعماقنا ،الجاتية من فوق السدود!

السد يعجز عن التحمل ،يبدو كئيبا للمنظر!

كئيبا لعجزه!

الإنسان أشبه بالسفينة التي تماطل لتطفو فوق البحر

،خوفا من الغرق ...

الحاجة لتنفس تحت الماء، و الغرق بدون نجدة ،

تلك هي المزحة!

كان مقدرًا له العيش بجانب الوادي ،

في كل صباح يسمع ضجيجا إثر إصطدام إحدى

الموجات العنيفة بحائطه العزيز !

فتنبش منه القليل تم القليل ،في الوقت الذي بدى فيه

واضعا كميته فوق أدنيه ساخطا على امواج الطوفان !

فراح الى سفح الوادي ،ولعن كل شيء !
بما فيهم الوادي وأمواجه !
فرأى خلسة شيئاً أشبه بالدمية تتقاذف بها أمواج ،
فخيل إليه جثة هامة كانت ضحية انتصابها أمامه !
فحط يديه فوق عينيه ليسد بصراه ،
وألأ يميظ ناظريه تجاهها،
ففجأة إنخلع الثعبان من جلده تاركاً إياه خلفه ،
ماسكا عصاه ،محاوفا جفب الجفة إليه !
كانف فبفو مفهفمة من بعفد ،كأنها ففقفف صلافة
وجودها فف هفا العالف ،
مفمفة بأكفاس مفاه بفل الفماء،
فلا فبفو أنها إرفمف الفه و هف فرفص ،و فمفل
خاصرفها ،بفقر ما ارتمف الفه عفا ،وإفبارا...

بعفما سحبف الف البرفة ،كان الماء ففدفق من
أفساءها ! و ما كان بوذ المراهق أن ففركها ففسفر فف
السبافة ،

فقر كانف جفة لأفد الأطفال فوف عشر سنواف !

وجه مخرب ،وجسد مثعب ،كأنه كان يصارع ثورا
طوال قرون !...!

أخذ المراهق الطفل الى سفحه الذي يسكنه .
وأجلسه مجلسه ،وهو يضحك ويقول "
اترى يا صديقي نتيجة عنادك !
ها أنت دا جثة مرمية وروحها دائعة ...
هل علمت أن الوجود عقاب لنا !
فأخذ المراهق الطفل الى جانب الوادي ليغطيه بدفئ
الثراب ،ويدفنه هناك !
ففي لحظة توقفه عن المسير وهو حامل للجثة سمع
نبضا !
انه لا يزال حيا !
فأخذ يضغط على بطنه حتى أخرج ما في أحشاءه من
ماء ! وإستعاد حياته ،لقد عاد الغبي !
لقد استعاد الغصن وعيه ،والصحو بدى بعده ضئيلا !
فأخذ المراهق يسأله ،
فرتضى الطفل ليتمتم له ببعض الكلمات !

خالي هل هذا أنت؟

وعاد للنوم !

ولثانيتين صاح في المأ يصرخ ممتنعا لشيء ، و النوم
بين جفونه واقف ، وعينه مغمضتين !

فقال ! لا ارجوك ،.... لا تلقي بي الى الوادي !

أرجوكي !

بدى كأنه يتكلم وهو نائم ،

وراح المراهق يسأله من ألقى بك "

"

الصمت خيم لدقائق فرد: إنها نفسي !

فتفاجأ المراهق برده ! وقال أيعقل أن يكون للمرئ
خصم بداخله يرميه خارجا ؟

...

فالارتطمت إحدى الأمواج بحائط غاره وقفز المراهق
من رعبه ، فوجد نفسه في غاره نائما على الجثة !

....

كان أمر مجرد سهوا!
مجرد سراب في عقله
حيلة تفنن عقله في تجميلها،
تلك التي تجعل منك بطل المسرحية لتنهض من فوق
الشرفة، وتتفاجأ
بأنك الشرير فيها...

إنهار الفتى، وإنهارت خطاه!
فما كان الطفل سوى أناه!
وما كان الطوفان سوى نفسه المهترئة!
تلك التي تدمر وتدمر في الآن ذاته!
بين الضفتين يوجد الطوفان!
بين الضفتين يوجد الأمل وتوجد خيبته..
للدين يعيشون بدون توقف!
للدين لا يمتلكون واحدا!
"طوفان"

للدين لا يشعرون إلا بثقل أعماقهم، كيف لتلك السيقان
الهزيلة حمل كل هذه الوضاعة الوجودية

لحظة جنون

«لحظة جنون، هي استراحة من التعقل

الذي لا تكف نتبجح به طوال الوقت»»

لحظة جنون، إستراق لسمع وراء جدران صغيرة، قفزة صغيرة نطة واحدة!

من عمق الذوبان الى أتلوجة منصهرة،

ثواني تحسم، إما نطة أو سقطة..

قفزة من أعماق الجنون عاقل يصرخ

لقد ولدت من جديد مرحي!

،وراح يسأل المارة..

هل عرفتموني؟

صاح الجميع، إنه المجنون..!

بدي حقلا أفسدته الغربان، ما عاد بإمكانه سوى أن

يكون واحة تتقافز فيها العواصف...

كان في حاجة لركض، للفرار خارجا!

إنتبه الى المنفذ فارتمى في حضن الجو، وراح هاربا

من لاشيء،

ما كان ليرى شيئاً حتى وإن رغب ، غير راض برؤية
شيء،

كان يرى نفسه وهي تفر منه هاربة طاردة اياه
خراجها!

إنها تستمر في إلقاءه خراجا ، غير مرغوب فيه !
فهل شعرت يوماً أنك أشبه بالظل الذي يركب كل جسد
في لحظة صموده أمام الشمس ! ...

هذا المراهق الذي يبدو مرهقا ،مبتدئا في الجنون ،
حينما إستعد ليكون ناضجا ،لم يتحمل ضخامة المشهد ،
و وحشية الموقف،....

كان ليرى أشياء نفسها طوال الوقت ،ولكنه إستعد
بالفطرة ليتخلى عن طبيعته ،وليسحر في جنونه
،بجنونه.

فما يرى الحجر يطفو ويتراكم ليبنى جحرا له ،
تم لا يلبت ليصير قبرااا ... السماء فارغة و الألوان
مختطفة ، بدى العالم بدون ألوان أشبه بأفلام القديمة ،
ففي لحظة تستوي ألوان لينال الجنون حقه !

فتتداخل وتتراكب فيبتهج الوجود ليصنع لنفسه حلة تليق
به ،

قوس قزح ، وألوان تمطر الوجود

لتملأه حلوا ، وتكسبه طعما!

ولكنه بقي كما هو ،

فيغوص في سماءه ، ويطير مع طيور ه ،

في سباته المتيقظ ، الأحلام الجميلة المثالية .

فوق طاولته بين جدران سجنه الكئيب ، في مستشفى
أمراض العقلية ، كان مشهورا بجنونه المقنع ، حتى أنه
كان يكتب في الجدران بقلم أسود ..

حتى بدى عاقلا عند الكتابة ، ولكنه نجح في إرتياد هذا
السجن الوضيع ، لم يكن بتلك القساوة المرموقة في كل
البقاع ، كان بالنسبة له أفسوحته ، ونزهته المعطرة
، حتى وإن كان سجنا ، جحيما لا يهم!

المهم أن تكون جارته سعيدة ، ليكون سعيدا!

أحسست بشيء غريب يوم ترقبي لها لأول مرة .

لربما وقعت في شراكها ، حينما قبلوني وأنا نائم في
غرفتي المظلمة ، فما رأيت من غير الحلقة سوى
الشفاه!

جاءني طبيبي وأنا في غرفتي أستريح من العواء طوال
الوقت ، ديك نشيط فقد حاسة النظر ، فقد أصابه العمى
، وما عاد يبصر في الفجر شيئا!

سوى حرارة الشمس،

فقال لي في !

لقد شفيت من مرضك ،واليوم خروجك !

فتفاجأت وفرحت معا!

وقلت له ، و جارتني ؟

فأجابني بأسف !

ستبقى لدينا لبضع أشهر!

أيعني أنني سأسجن خارجا!

إني لا أشعر بنفسي إلا معها،

فأخذت أتمسك برجل السرير ،لم يتزحزح من مكانه
حتى!

فجاءت لعندي لتودعني ،

فتركت رجل السرير ،وأمسكت يديها ،

وبقيت سارحا في عينيها!

لم أستوفي ملامحها ولكنني لا أزال أحب عطرها!

كان مقتنعا أن السجن الوحيد الموجود ،

هو الخارج نفسه! هو إفراط في منح الحرية!

كنت أنا المريض العاقل ، كنت سجين نفسي طوال
الوقت ،فيها الطبيب ،وفيها المستشفى ،
لكن جارتني لم تكن سوى الغريزة نفسها ، حاولت أن
تقنعني بأنها هي الخارج نفسه ،

إنني لا أبرح مكاني ولا حتى نفسيتي ،حينما يقصدني
الجنون ، أبدو مقيدا بسلاسل من رجلاي ويدي
ملتصق بأرضيتي ، عاجز عن تحريك أطرافي
،حاضرا عند حضوري في أحلامي ومخيلتي ،...
في العالم تواجدت ، أنا من ولد في السجن ، ..
أول من سجن وهو جنين " وهو نقطة!
بدى كذلك!

....الجنون

تحفة ترتسم فوق مخيلة أحدهم!
فيغض بصره ،لينهال علي بأكاديب "
انه يقتعنا بجنونه المزيف ،
مهلا أيها العجوز!

انا لا أكتب لأحد، لا أحتمل أن يمدحني أحد ،أن ينقلب
هراءه ويجعلني المكان الذي يصوب عليه
...سهمه،...وأكديباته

، انا أكتب ،لأنهض في يوم ما وأقول ما هدا الهراء
!أهكذا كانت شخصيتي عندما سمحت لها لتكونني

أكتب لنفسي ،لألا أكون غير عادل كفاية ،لأنصف
شخصيتي أخرى، فالآن عندما تسن نفسي قوالب منها
تنفتها في الكلمات ، يقوم المنتشائم فيا ،فإما أن يرضى
، بكتابتني أو أن يرفضها رفضا لا تنازع فيه
...فيبدأ الندم فينبش أعماقي حتى تنقضي مهلة إحتماء

..فيعاد تمزيق الذكريات لتأتي أخرى

بدي الجنون مقنعا ، حتى ما عدنا نرى في أرض سوى
أشجار ،وأماكن الصخور تركت موضعها فارغا ،
لترتقي الى الأعالي فتطفو في سربها المتحجر!
كانت قناعة المريض أسمك من قناعة الطبيب ،فجن
الطبيب و ترأسه المريض،

لعبة بسيطة ،تكون القناعة مفتاحها ،فإما أن تصمد الى
النهاية أو أن تسقط في واد الجنون !

بدى الأمر جنونيا. ولكنني سأفعله رغم أنني لم
أبلغ في الجنون سوى السفح!
بينما تركت القعر للدين يثقنون فن السباحة!...

السجين !

« جميعنا سجناء ، الا ذلك الذي يبدو غير مبال
بالأمر "...
ذلك الميت الذي نفذت صلاحية وجوده ، وإبتدأت فترة
سباته الأبدى ...

كأن من إفتقد العيش وهو نائم في قبره ،
قد إشتاق لقيوده الحبسية ،
آلف وجودها حول عنقه ، عقد من الحديد ،
يا له من فنان
.. كان القمر يرسل البريق ،
وكان الدئب بداخله يعوي ،

لكنه لم يكن من فصيلة المتحولين ،بل كان هو الدئب
نفسه...

إنتنفض العجز طالبا حريته ،

فمنحته أعماق إياه!

فغدى في البقاع ،أشبه بزنانة متنقلة،

يصرخ جاها ،أنقذوني من نفسيتي!

الحرية لا تطاق و لا تحتمل!

الحرية سجن ،أشبع بكثير من سجننا العادي!

سجن لهيكل عظمي ونفسية تتأرجح بين أعضاءه،

فهل ستغتزمون الفرصة لترفضو سجنكم!

أتريدون الحرية فعلا!

كنت سجينا طوال الوقت ،وكان الوقت سجين كل لحظة
،كنا معا لنولد بنفس القدر من العبث المضجر،

ولكنه إستبق إنتحاء بالكتيبة ،وظللت بالداخل حتى أذن
لي الكولونيل،....

أفعلا تستحملون الحقيقة كما قلتم أم أنها مجرد أدعية
قبل النوم؟

الكل يرغب في الحرية ،ولكن لا أحد قادر على تحمل
ما بعد الحرية ، الخوف من السجن ،بقدر ما هو
الخوف من الحرية. ...

الإنسان يبذل الكثير لينال الحرية، فأى نوع من الحرية
ينال؟

نحن أشبه بالوسادة، فإما الغزل و الصوف بداخلها
، وإما بقايا التياب الممزقة... تلك التي إستغنى عنها
صاحبها عندما بلغ من العمر القليل....

كأن تقول للعمر توقف عن النحيب، ما عدت أصلح
لرقتك السميقة...

الولادة، وإرتطام بالسفح ذلك الجبل! بين الهاويتين،
ألقي بالمراهق، فهل لك أن تسأله كيف أتته الحرية؟

...

كان الصعب في همته، لينهال على رقبة المسكين ،
ذلك الطفل المتشرد، الذي أغرته الطفولة من بعيد ،
فوجد نفسه في كفن التشرد يلفه من كلا أطراف .
صعوبة العيش الوحيد، مفتقد لعطف الحنان،
والشعائر المنسية، في جحره الثعباني الكتيم، بقدر من
الصمت الذي يغفو ولا يسمع ولو بصيص الطنين...
عشرون عاما، في غمزة الرحيم، و بطئ الجحيم ،
فوق سفحه الداعي، وكهفه الحالك، المظلم ..

يغفو طوال إستماعه لعفن الطفولة ، وربما للحياة
المعدومة...

عشرون عاما ،والحرية له سجن ملعون!
أينما ذهب يعود ،وأينما توجه ينقلب الى جحره العفن.

كأنه يقول للحياة توقفي عن الحياة ،
ما عدت قادرا عن إستحمال نفسي!

سألقي بنفسي إلى الوادي!

وفي لحظة إرتماء يتوج الخوف ملكا فيهاجم الإرادة
فيضعفها ويبدأ بالصراخ فيقول :

، للموت توقف عن أخدي

ما عدت شيئا ليؤخذ ..فما أنا الآن سوى فتات لعين

..لا يحمله سوى النسيم،وربما مناقير الطيور

المهاجرة...

تم يعود وفي حلقة عينيه تغفو الكأبة يصرخ ثانية...

لماذا أنا ؟

في وقت بلغ من السفح الشروق!

بدى يتمتم ،

،كأنه يقول للموت توقف عن النحيب

فما عاد لذلك الجسد النحيل ، مكانا لتهاجمه ،دعه
ليأتيك بنفسه

. فيعود لكهفه بنظراته المحزنة

!المخزية

أخذ زاويته المألوفة ، داخل جحره الذي يشبه الكهف ،
فوق صخرة , بجانب حרבاه ،

ففي لحظة يضحك كالمجنون ، حينما يتذكر موقفا
،وأحيانا يوشك على سفك الدموع ،في زيارته العاطفية
،لذكرياته المشؤومة،..

كان الشعور موجعا ،وكان الفراغ هو الشعور نفسه .

فويل لمن يسرف في الشعور!

كان أشبه بالفتاة عندما تصاب بالكآبة !

ربما عندما تمثل دور الكئيبة...

يستحود السرير على بؤسها ،ويصبح النوم منفذا
لراحتها .. ولكنه لم ينم ،بل أغمض عينيه ليعيد شتم
الوجود بما فيه !

نام الوغد الصغير ، و بدت كبريائه تنازع نفسها
للخروج من المستنقع ، ...

فوق الصخرة يغفو ،حرارة جسمه ،و قتامة أنفاسه ،

تديب نفسها ، الشعور يكرر نفسه "

في صحوه يقول "لماذا أنا" ...

وفي المنام يصرخ منتفضا لكابوس أزعج ذاكرته ،
وأخاف نفسيته . فيتمسك بطرفي الصخرة ، مفقداً ،
لحضن دافئ يحميه من بشاعة المنظر ..

فويل لمن لا يمتلك حضنا ، يدس فيه كوابيسه!

أخذ الفتى بعد إنتفاضته المرعبة ، في إرتياد السفح ،

بدى محتاجا ليصرخ طوال الوقت ، فغض بصراه في
تأمل لنفسه ، لجسده ، تيابه الرثة ، وجوده العبثي !

ففي لحظة تستوفي نظراته الى الضفة الأخرى من
الوادي ، فيرى شخصا واقفا ، إنه عجوز يترقب
الطوفان ، ليحمله فوق صهوته ، وربما لينهال بكفيه

على جسد المسكين ، بدى راکعا لضخامة الوجود الذي
أثقل كاهله ، في حالة بدى فيها مستعدا للإنجراف الى
عمق البحر والغرق دون عودة ..

كان مستعدا لكل هذا! للغرق ، للنزول لقعر الوادي دون
إستئذان ، دون نذم حتى!

كانت ملامحه أشبه بذلك العجوز الذي قاوم كثيرا سبل
زواله ، حتى ما بقي للزوال شيئا ليمنعه ،

من الإنتصار !

عصاه المعوجة ،أختيرت لتكون عصاه !

الإعوجاج في عصاه وربما في أناقته الشيوخوخية،

أشبه بنفسيته الذائبة ،الهرمة.. التي تحكي تفاصيل
مقاومته، إنكماشات جبهته ،قباحة أخلوفته تلك !

ففي لحظة يظهر فيها ممتطيا صهوة حصانه، لابل
صهوة عصاه، فيهرع للركد كأطفال ، تم يتوقف فجأة
،كأنه إستعاد وعيه بعدما أغرقه الجنون في حبه !

فينظر إلي من بعيد مندهشا ،ما ذلك الشيء الواقف
هناك؟

كأنه يرى طفولته ومراهقته المفتقدة !

فيرى نفسه في المراهق الذي يبصر نفسه في الضفة
التي يمتطيها العجوز ، تم ما يعود ليتحول الى المراهق
الذي يصمد عيناه في ضفة العجوز ،فيرى نفسه
الهرمة ،تتوسد عصاها ،بكل بأس ونقص حيلة...

ففي وقت بدى فيها العجوز مرغما للإنفلات من قيده
،من خوفه تجاه المرتفعات ،

فيهرع للإرتماء في عمق الوادي ، دون حتى أن يتردد!
كأنه رأى قدره الذي لن ينفك عن مطاردته ،

لقد إستغنى عن وجوده لألا تطأ بصراه وجه ذلك القدر!
الخوف يجعل من أي أحد عدو نفسه ،

الخوف هو أخطر من الخطر نفسه ،

بقي المراهق يحملق في الوادي ، يبحت عن العجوز
الذي فقد نفسه هناك، فلم يجد شيئاً ، الطوفان لم يأتي
بعد ! فنهال عليه الشك ، وبدى له العجوز أشبه بشبح
يزوره كلما إنتفضت نفسه من سجنها القدي!

لم يكن العجوز سوى نفسيته الهرمة لذلك المراهق
الأخرق، كانت لتعجز عن القفز في الوادي ولكنها لم
تتردد في النط ، لأنها لم تكن لترفض التحرر من
سجنها أزلي !

فتوجه الى قعر الوادي ، مع عقله الهائم ، ليبحث عن
العجوز المنتطي من أعلى السفح..

وفي نزوله إصطدم بغصن شجرة ميت وقاسي ، فنزف
القليل من الدماء من قدمه اليمنى ، فلم يبدو يائساً ، بل
شعر بالحياة لأول مرة... كان الصياح طوال الوقت
منفذا ليحرر سجناءه ، حتى بدى قيوله لألمه أشد راحة
تكسو أعماقه...

فشندت حماسته ، بعدما عششت الكآبة في أعماقه ،
وأخذ يبحت بين الصخور ، أملاً في إيجاد العجوز.
فيقلب غصنا ، و يقفز كالأرانب فوق الصخور ،
مرت ثلاث ساعات على البحث !

فلم يجد شيئاً...

وهل في نيتكم الوثوق به؟

شخص يبحث عن نفسه !

لن يجدها ، هذا الذي يبحث عن نفسه المفتقدة..

..

فجأة سمع صوت صاخب ،ضجيج مرعب إعصار
يكتسح حدود الجبال ،متجه الى أعماق الوادي ،

إنه الوادي يعيد ملاً أنفاسه بالماء ...

الفيضان قادم ، المراهق في الوادي ،مفاجأة سوية
للقدر !فخ مرعب...

آزار يتسلل في العفن ،إنه يحاول النجاة ،

بدى قبلاً لا يتمهل في القضاء على نفسه ،بل أصبح
على إستعداد في التمسك بالحياة بمخلايه جميعها...

تخيل المنظر أثناء هروبه داخل الوادي ،وخلفه فيضان
من المياه التي تجرف الصخور و الأغصان
المنكسرة ...

أشبه بفأر فاشل في الهروب ،من قطه الشرس
المرعب

كان ليتخلى عن الجميع لينقذ نفسه ، غريزة الخوف لن
تجد متسعا لتفكر في إنسانيتك اللبقة ، الأنايية مشغولة
في الوقت الذي كان فيها هاربا من قدره ...

بدى بفضلها ناجيا، معلقا في غصن إحدى أشجار التي
تميط غصونها داخل الوادي !

كان حظه في النجاة ، أمثل بحظه العائر في الزوال ...

حقا كان يلهت بشدة ، بعدما أعياه الفرار من حدفه ،

فما إستعاد أنفاسه سوى وهو معلق على ذلك الغصن ،
كان الغصن رطبا، وهشا الى درجة أنه يكاد يتمزق
في أول محاولة له ليسحب نفسه الى السفح ،

الخوف من إنزلاق الى الوادي المتدفق ،

كان في الوقت الذي يعاند فيه نفسه لسقوط في الوادي
،مرغما على السقوط بكل إحترافية ، فنقطع سبيله في
النجاة ، و سحبه الوادي الى قعره حتى أنه أذاقه القليل
من ماءه !

بدى متدحرجا بين أمواجه ، النجاة و الحظ لا يكفيان
للعيش ، حتى مدت إليه عصى من الضفة اليمنى ، أعلى
السفح تسحبه بها كأنه سمكة قد إنطردت من من بين
الأسماك ، فقذت أحقيتها في الحياة ..

فأبصرها قط جائع وأخذ بعصاه يسحبها ليسكت جوعه
وشراهة أعماقه ...

أفاق آزار من كبوته، من غيبوبته تلك التي تسبب فيها
خوفه من الغرق، ممتطيا سفحه القديم ، مع ثيابه المثقلة
بالمياه ، كأنه كان يحلم بإنجرافه وسط الوادي ، فشتهاه
الوادي تم تقيأه لسوء هظمه ورائحته النتنة ، ولكنه تأكد
بفضل ثيابه المبللة أنه ماكان ليحلم بذلك الشيء، فمن
الذي أنقذه ؟ وأين هو؟

وقف من مجلسه ، وأنظاره تحاكي الوادي ،

فنظر الى المنحدر ، برعبه المنفلت من إرادته،

فرتأى في نفسه ، ما كاد ينسيه همه ، وفضاعة إنجرافه،
كانت ثيابه مبللة من أسفل فقط ، حتى أنه أخذ يشك في
إمتطائه لأمواج الفيضان ،

فأخذ يساير شعوره في الذوبان ، يساير نفسه في إعادة
نسج ذاكرته قبل الحذف ،

فراح يبحث عن غصن شجرته الموعود ، المنقذ
المخلص ، فوجده قريب من الوادي غير منقطع ،

ليس كما إدعى عندما إنفلت منه عند الهاوية...

كان الوادي مملوءا ، حتى أنه بدى متدفقا من أعلى
السفوح ، وكان آزار يحاول إستعادة نفسه عندما أراد

النجاة !

فتبين أنه عندما كاد ينفلت من الغصن ،أخذ يسرع في
الإرتماء الى الضفة خوفا من الموت ،كان أمر مرعبا
أكثر من الوقوف أمام أسد وهو يتدور جوعا، ..

فأخذ الموقف يتبجح في نفسيته وإنصدم المراهق فلم
يحرك شيئا ،كالصنم تماما!

وخيل إليه أنه إنجرف مع صخوره وأغصانه ، كأنه
تلك الجثة التي ستتجو فيما بعد !

الخوف يجعل من الصورة أوضح عندما نتقن تصديقه
والشعور به إنه الكاذب المحترف ..

إن إستراق إحساس برهابة السقوط والشعور بألم ،
وإستشراق الشعور بالخوف لهو إلا الخوف نفسه...

من لا قدرة له على إمتطاء السفوح ،ستجده مغرما
بالدساس وسط أعماق...

إن من ألف الإنبساط لن تغريه القمم ولا حتى
السفوح....

إن إبتداعك لمن يسعى ليكون مجرد خروف لن تصل
أنظاره لقدمي الراعي ،ستبقى عيناه منصوبتان حول
عشبه الطري وحضيرته الدافئة....

فكم منا سجن في جسد ليس له " ...

في عز المساء ،عندما رحل النهار ،وأرخت الظلمة
سدولها في أرجاء ،بدى أمر كرموش أهنكت ، وهي
تقاوم لتبقى العينان مزهرتان ،ففي لحظة تنتهي
المقاومة ويمتدح المنع عن فعل شيء ،فتنهال الرموش
على العينان ،فتتمل الأضواء، وتبدل أزهار ، فتعم
العتمة !

بدى آزار لا يحاول ولو بجهد بسيط نسيان حادثته!
كانت واقفة بين عينيهِ مترقبة غفوته لتوقضه بحيلتها
الرعاء ،لتقول له " أنا كابوسك اللعين "

بدى عقله أشبه ببرميل فارغ ،تتمازج فيه الزيوت و
قطرات المياه ، فلا يغط في نوم، ولا النوم يريده أن
يغط فيه !..

عند الفجر ،وعندما إستشرفته أشعة الشمس ،فحطت
فوق وجهه حتى أحس أن جلده ما عاد ليحتمل كل تلك
الحرارة ،قام من مرقظه بحرقة جلده و إنقطاع نومه
غاضبا ، ساخطا عن الوجود ، فلو إستطاع بمثل ذلك
الغضب فعل شيء ،لنتحر بطيشه،...توجه الى الوادي
الذي كاد ينهيه قبلا فما وجده يسيل دمعا ،

فكيف يا ترى إنقطع الدمع عن سقي الجفون ؟

فغض بصراه لأسفل، ووجد بركة بها ماء صاف ،
فشرب منه القليل ،وما تبقى أماطه عن وجهه ،وإستمر
في المسير!

وفي طريقه الى عمق الغابة ،سمع صوتا ،لا دخل
للطيور فيه ، إنه أشبه بعاصفة ترقص على يديها لأنها
لا تملك شيئا سوى فتات غبار الذي حملته طول
مسيرها، فيتولد الضجيج من صراع هذا الفتات ،
فأخذ المراهق ليسترق النظر من خلف الشجر ،
فحطت أعجوبة بعقله الشائع ،إنهم مجموعة حمقى
،يرقصون على أنغامهم المبتورة !
تياهم الممزقة و أجسادهم العارية ،
أناس من أصل أجيال؛

كانو يرقصون كمن يثمل وسط الحانة ،فلا عقل له ولا
جسد له ،سوى كوبه المملوء بالكحول!
كلماتهم وأنغامهم من كوكب آخر ،حتى لهجتهم أغرب
من رقصهم ،...

كان الفتى لينط أمامهم مستغربا ،لرقصهم ، والضحك
لا يكاد يسكت قلبه ، ولكنه بدى جامدا في مكانه ، لقد
أرعبه منظرهم البشع !

فلم يتعود قط على مخالطة أحد ، فهرع للهرب خوفااا
من طقوسهم وملامحهم المرعبة !

أثناء هروبه ،وعند تقاطع طريقين وسط الغابة إصطدم
بجدار رطب بينما كانت أنظاره متجهة الى الورا
خوفا من اللحاق به ،حتى بدى هذا الجدار متأثرا
بإرتطامه، فعندما إتضحت الصورة

كان الجدار مجرد إمراة في الثلاثنيات ، كانت مستغرقة
في الضياع وسط الغابة ، فارتعب المراهق وبدى
يصرخ ، إبتعدي عني !

حتى أنه رماها بالقليل من الحجارة ،فخدش وجهها
الأسمر، فلم تحرك ساكنا ،وقفت تبتسم في وجهه ،
فارتعب الفتى من هكذا إبتسامة ،فأمسكت بيده وأخذته
وسط قطيعها !

كان جزءا منه لقمة صائغة بين أيديهم ،وكان جزءه
الآخر لقمة للخوف ،.

فبتدأت مراسم الوداع ،طقوسهم الدينية !

فأخذ المراهق يدقق في رقصتهم ، وبدى تالفا وسط
لهجتهم ، فأخذت الفتاة تعيره جزءا من تفكيرها ،و
تساعده على فهمها!

وفي آخر حديثها وعند إنتهاء ،قفز الفتى من مجلسه ،
وفر من هناك هاربا لا تحمله سيقان ولا أرض حتى !

يقول ويتمتم وهو يواصل الفرار !

"ما كان عليّ" وأعادها مرارا !

كانت تقاليدهم أشبه بأنفاسهم ،

لا عيش بدونها ،

إنهم سجناء لتقاليدهم وعاداتهم !

من الجيد أن تقتصر العادات على مثل هكذا أفعال !

فكثير من ذوي الأجناس ، لا ترقى عاداتهم لذكر

حتى....

كانت لتكون له تقاليد وعادات مثلهم ، ولكنه إنفطر من

قلب الوجود ، فأخذ الزاوية بدل القعر....

حتى بدى يتمتم في نفسه؛ فيقول:

الفرق بيننا انك تعيش وسط القطيع ، بينما أنا القطيع

يعيش بداخلي ...

الفرق شاسع بين أن تكون مدجنا ، ومطيعا ، وبين أن

تكون متمردا ، وتأثرا..

كانت لتظل الحياة مملة ،

وكان ليكون خروفا ،

لولا إفتقاره لضعف إرادة ،

لطاعة إجتماعية...

فجأة توقف الفتى عن الركد ، فوجد نفسه في الغابة ، لقد
أتلف ملجأه و إختفت ملامح طريقه ، يا للغرابة كان منذ
البدئ تائها في مجرى هبوطه و صعوده ...

في لحظة إستنزف الوقت شغفه في الركد ، بدى يائسا
، محبطا الى درجة أنه ما عاد يحب أن يرى شيئا
، أغمض عيناه وواصل المسير ، مرة يثعتر ، وأخرى
يصطدم بالشجر ، أو لا هذا ليس بعقاب أس يمكنه أن
يناله المسكين...

فنتشى العجوز بداخله ، و بدى المنظر رهيبا ، حتى
أن نفسه إستحت من الكدمات التي غطت جنته ،
ففتح عيناه في فجره الصافي ، في أثلوجة الصباح
المعطرة ، مع القليل من النسيم ، الذي يركض وراء
العصافير الطنائة ، وفوق ضهره أوراق الورود
المزهرة اليانعة ، أشجاره خضر وثمارها ناضجة ، و
السماء صافية تتسابق فيها خيول الغيوم المتسارعة ،
بدى العالم هادئا !

ولا جلبة ، كأن الضجيج إنقطع صيته عندما إرتمى
العجوز في الضفاف ؛ طوال المسير ، الفتى يحمل في
داخله ثقل العجوز ، بما فيه من شيب و هرم ، و
الضربات الموجعة التي لم تخلف وراءها سوى طفل
مجهوض!

سمعته يقول "

اه أين سمعتي ! أين حيلتي و مراهقتي ! بدى العجوز
يتكلم بلسان المراهق !

قد أنهكته الحياة جلدا بسوطها القاسي ، ..

أفيعلم من لا يستطيع أن يكون أحدهما ،حال المسكين ،
أنه يتأرجح بين المراهق الطائش ،وبين العجوز الهرم !
فيأخذ لجاما و يهرع للسباق في حلته المراهقة ،الطائشة
و في منتصف الطريق تنهار مراهقته ليتولد العجز ،
ينفلت العجوز من قيده في منتصف الطريق فيعود
أدراجه سيرا على أقدام ،

إن الأشياء التي يفتقدها تلك التي أضاعها المراهق !

فقط تخيل أنك عجوز في قلب طائش؛

يبدو أمر وقحا ،وربما لم يعجبك !

أعلم ذلك ؛ إنها ولادة العصر تلك التجربة التي فشل
الزمن في ترميمها ،في خلقها الى هذا الوجود....

نحن تنايا الهوامش التي لا تستطيع أن تكون سوى
نفسها " تجارب من حقها أن تباد "

أحب من لا ينتظر شيئا سوى الزوال،انه أحكم الناس
،وأرفعهم....

**

أعظم إنسان، من وقف صامدا، معاكسا لتياره .،صخرة
متحجرة في قعر وادي ، ينعدم توقفه!

**

لم يولد قط من له القدرة على البقاء واقفا دون أن يركع
لأحدهم ، أو تنكسر حلته ...

**

هناك من شوهتهم الحياة طولا وعرضا ،أولائك
المتصنعين الدين يرون في الحياة جانبها المشرق
،ويتناسون جانبها القبيح، في محاولتهم الجبارة لنسيان
قباحة وجودهم وفضاعته، إنهم أشبه بالخراف التي لم
يطأ جلدها مخالب دئب من قبل ،وفي اللحظة التي
سيطؤها لن يعيشو بعد ذلك !

إن هذا إنكسار الخيالي الذي يكون في القناعة مجرد
زجاج سميك ،لن يكون نذا للواقع ،وللحياة ،وسيفخلف
بعد إنكساره ما لن يسمح الجرح لدواء بترميمه...

هذا التمسك بالخيال الذي يبدو أشبه بضحية نجت من
الموت " فما عاد بمقدورها أن تترك ساق الحياة ،بل
أضحت متمسكة بها الى حد الجنون..

هذا السجن الواقعي الذي نسميه الحياة ،

في لحظة إنبعاث الأمل من إفراط التخيل، و إرتسام تلك
البطولات الخيرة في أدمغتنا ،يتدخل الواقع في خطته
الشيطنانية ،في مزحته الغبية ليفسد هذا الخيال ،فيخرجنا
من قائمة المتوهمين !

ويجعلنا وجها لوجه أمام واقعنا ،فتتكسر الأحلام ،
وتدفن الآمال ،ونلعب الوقت الذي بدوننا فيه نتخيل ..

بين الجسد المهترئ ،وكآبة الروح المندبحة!
يتواجد بصيص الشؤم ،رمشة من الحزن الميت !
أخطوطة الهلاك ،بل معقل العدم ،

إن الذي يعيش بدون أي إندفاع مسبق ،هو أولى
بالإنعدام ،

إنحنى الجبن عندما غاب الحضور ،و حينما حضرو
رزقنا بشجاعة ،فهل إرتأيتم قبلا من أين لكم بتلك
الجرأة ،بذلك إندفاع المزيف... الخضوع لإرادة
القطيع.....

إلى أين؟

الى اللامكان إنني أخاف أن أهرب من العيش هكذا
حياة، فأجد نفسي أعيشها مرتين ،

فلا أنكر أنني أشك في ما بعد الحياة ، في تلك الجنة
التي أصبحت صوب أطماع جميعها بدون إستثناء ،

ما يجعل للحياة معنى وقيمة هي التقيد بالمبادئ،

جميعا لا نمتلك واحدا ، فلو أخذت فضيلة من بين ما
لديك ، وأنصبتها وسط عينيك ، فتصرخ بملئ الفخر ، هذا
ما أنا عليه ! هذا ما يميزني !

إنها جرأتي ، التي تطفو فوق المخاطر ،

إنها قوتي ، تجاوزت بعد إصطدام تم النهوض ومعاودة
المسير .

إنها إنسانيتي ؛ رفض القبول لذلك الخضوع البشري
بإسم أخلاق ، بإسم القيم و العادات الواهية

إنها عزلتي ؛ البقاء وحيدا ، دون حاجة لتلك العصى
العوجاء التي تقنعك بأنك أصبحت هرما ولا قدرة لك
على المشي بدونها، لست عجوزا صديقي ، والوقت
مبكر على عجزك.

إن إنسياب إيجابي ، وتخيل المفرط الذي لا فائدة منه،
الذي يبدو ممتعا ولذيذا للحظات ، وتمثيل الدور إنسان

أفضل طوال الوقت ،لهو إلا أبشع ما قد تنتكر به
الطبيعة انسانية...

الكل يصرخ ؛ نحن أحرار ،نفعل ما نرغب فيه؟
تم لا يلبت بيتسم ،بضحكة المهرج الذي ينتكر في
إبتسامته الكوميديية ليقتنع جمهوره بفكاهته المزيفة ،
الجميل حقا ،أننا نساعد على إقناعنا بتلك المزحة الثقيلة
على القلب ، نساعد أنفسنا للوقوع في فخهم اللعين ،
تلك أفكار التي وجدناها جاهزة مرصعة بالفضة ،فما
أقنعنا سوى منظرها البراق ،و شراهة طمعنا
الوجودي....

نحن لسنا كما نظن عن أنفسنا ، ولدنا لا فقط إرتمينا
علوة ، وسنغدو منبطحين على أرض في مهمتنا
للعودة إلى أصل ، عندها يحسبوننا نائمين من التعب
،ولا يدركون أننا إستقلينا قطار العدم متوجهين الى
الجحيم ،إلا بعدما يفقد النوم السيطرة على نفسه
،فيتجاوز ثلاث ساعات قادمة..

توقف أنفاس عن التدفق ، والجمود الجثماني ،كذلك
العصفور الذي أتلعج صدره من فرط البرد ،
فتجده منغمس الرأس داخل تغرة في حائط من الطوب
،فلا تراه ميتا إلا حينما تسحبه بين يديك

فيتراخى سدوله و يمتد جسده وأطرافه كأن الوقت الذي
بدي.فيها يعاند إنعدامه قد أفقذه قساوته،و إرادته في
السيطرة على نفسه..

وجدنا في سجن ,وسنموت في السجن !
إن التوهم بالحرية أضع من السجن نفسه،
الحب سجن ،و السعادة سجن ،و العهر سجن ، و
أجسادنا سجن ،والسجن سجن ، جميعنا محجوزين
للعدم ،نحن أنفسنا مملوئين بالزنزانات التي خلفت
بداخلها جثة سجنائها المساكين ،"المشاعر..".

أعلم أنكم مرتعبون ،الحقيقة تخيف حقا !
حتى أنها أخافتني يوما ما عندما خرجت لي من أعماق
الظلمة فمدت يدها فوق كتفي...
لكنها لم تجد أشعورا يساعدها على إخافتي فقد وجدت
جثة فاقدة لجزئها العلوي ...
فضربة ضربتيني فوق كتفي وقال " لا عليك "
من السهل العيش وسط السجن ، ولكن من الصعب أن
تنعم بالحرية طوال الوقت ،

إننا لا نحتمل أنفسنا برغم من أننا نقاوم لنيل القليل منها
،إنها أفضع من أن نواصل إقناع أنفسنا بأننا نريدها ...

السجين 03-33

بلاغ ،إنه منحرف لعين"

،يواصل قول الحقيقة ،

كم ستكلفه الحقيقة يا عزيزي الحارس ؛

ربما 30 عاما ،على أقل ،

يا له من ساذج فنحن لا نكره شيئا ،غير

تلك الحقيقة..

من هو ذلك السجين ؟

بدي مجرما ،لا بل منحرفا مقرفا الى درجة أنني

أرغب في إعدامه غدا "

أوو ، ما جرمه؟

لا تخبر أحدا !

حسنا ؛

لا توجد جريمة ،بل كان يطالب بحقه ،
ويقول الحقيقة ، إنه صحافي المشهور ،

كيف ؟

إن ما يخضع لإرادة السادة لا خوف عليه ،
ومن يقف جامدا في وجههم ،يتم صرفه ،
وسجنه بتهمة التماطل على أسياده ،

...

بدى يمثل تهديدا لناخبين ،والسياسيين ،
إنه يزيل حجاب فسادهم ، و يجعلهم جاريات ترقص
أمام حشدهم اللعين ،

فما برأيك يكون مصير المتطاولين على السلطة؟

يا عزيزي ،

أدرك الطابع القبيح الذي لا تحسد عليه ،عندما تكون
في فخ يصعب الخروج منه إلا بدفع الثمن المهم الدفعة
الأولى!

كأن تسقط في فخ أنتى عبتية ،قد أعيها العهر فقذا
لشرفها ،فتصرخ في ملئ جهدها ،

لقد إغتصبني ،إنه المجرم الذي إستغلني أنا فتاة مسكينة
،ولطيفة ، فيلتم شمل عائلتنا الأم ،

ويتدخل البطل المخلص الذي يبدو مستنطقا للموقف
،فيصمت فجأة ، الكل يشتم الفأر ، القطة تتلذذ بالصيد،
الكل إقتنع بصدق الفتاة وإتهمو الشاب ،لقد أعلنته
الغريزة إستقلالها عن العقل ،بدى وقت فراغه ،لا وقت
تحقيقه ممارسة لغريزته بشكل وهمي...

الكل يصرخ ،الويل لك أيها المجرم !

مغتصب الفتيات، لقد سجن القبيح سنوات وخرج بعدها
،ودهب وإغتصب نفس فتاته الكاذبة ومن بعدها قتلها
و رماها في الوادي !

هده هي السلطة عندما توجد في اليد تصنع من الفأر
سيدا ، وتباح له جميع أشياء بما فيه إخلال بالشرف !

هذا الصحفي الذي يبدو وقورا، في مشيته ،
صريحا في أقواله قد أحبته دوافع سياسيين ،
وإختلط التهريج مع السلطة فتولد العبث و قمة
الألاعيب و القليل من الجنون ،بل قباحة الوجود
نفسها !

الفرق بيننا أن ذلك الصحفي مسجون بفضل أقواله
ونحن حارسو السجون ، لأقوالنا المسجونة.

وليس من الصعب أن نلصق التهم على من نرى فيهم
خطرا قد يصيبنا ، خصوصا إن كانت السلطة في اليد ،
و الأقدام على الكرسي....

بدى شجاعا عندما إستولت الحلقة على غرفته ، بل
على غاره قرب السفح على ضفاف الوادي ،

نعم بين الضفتين ، تلك الرقعة التي وجد فيها ، وما زال
فيها ، إنه يخفي فضيلته من أن يغزوها الأتباع فيدسون
له فيها سما ، يرجعه مقتولا دون عودة ، وما أسوء
شيء أن تموت دون فضائل ، بل أن تتعدم كجرد وضع
له في الجبن القليل من السم ، فما من شيء أقبح له من
أن يتولد من القطيع أتباع ، فلا نية له ليكون الراعي
....،

إن سلوك منحذر شاهق بنية التخلص مما يفسد فضيلتك
، هو الإرتقاء نفسه ، فما من أحد تسلق هضبة و عاد من
مكان تسلقه..

إلا من إفتقذته شجاعته ، و إنخدع في مظهر
عزيمته... فهؤلاء ليس بإستطاعتهم نبش العمق
بأنظارهم ، يكتفون فقط بتوجيهها الى السماء...

الخير والشر ينجبان وسط المجمع ،

وسط الحضيرة و بين الخراف !

ففي عزة الليل ،وقف المراهق من نومه مفزعا ،

قد أشبعه الكابوس ضربا ،فما عادت نفسيته قادرة على
العودة الى السبات حتى إرتطم سؤال بمعقله يقول:

كيف للإنسان أن يكون شريرا؟ ولماذا هذا الشر !

إن الذي إنفكت سريرته ، و إتخذ من العزلة مرفقا له
،لن يكون بحاجة للخير ولا للشر "

الخير و الشر يولدان وسط القطيع ،بل القطيع من يجعل
إنسان شريرا كان ،أو خيرا ...فإن لم يولد من يفسد
القطيع فلن يولد من القطيع من قد يصلحه....

لحظة إنهيار، إنزلاق من السفح الى القعر ، ونفسه
إفلات لقدم الهدوء في نفسيته داخل الغار !

بدى المراهق يحاور أحدا ،ومامن أحد صمد في العزلة
أكثر منه ،بل راح مدمنا على كحوله ،لا على عزلته
نفسها !

إنه يحاول نبش ذاكرته ليعصر ليمونها ،

ويخط به جدران كهفه ، ففي حين تتولد الكوميديّة لديه
من حسه الفكاهي المظمور في الداخل ، فيقفز ويبدأ في
اللعب وحده ، كالولود الصغير الذي لم يلعب منذ زمن !

تم ما يلبت يجلس عاقلاً كشيخ لم يتبقى له شيء من
بلوغ أقصى الحكم.

فأخذ المراهق يتمتم ، و ينشد كلمات ،

فبدي بعد الثمتمة ، يجيد إنفعال في إنشاده فيصرخ من
لأشياء ،

ويقول ؛ بثرف يغني "

أنا المنشوذ ! ، أنا المنشوذ...

تم يغني نشيده الصباحي ليستعيد قوامه ،

فينشد :

حتى وإن دوى الحطام في أرجاءنا ،

لنبدو صامدين في وفتنا ،

دموع تنسحب من لحظّاتنا ..

ومشاعر تنتشل من بقاعنا !

فأين العدل الذي يهدي بنا ؟

وأين الحب الذي يطفو بذاخلنا ، ..

وأين نحن من ألعاننا ؟
ويا للنغم من أبصارنا ؟
فلنبحر طول الأنهار سيرا بسفننا ،
فاليوم غد و الغد يوم و نحن أنفسنا ،
أمواج تنط فوق الصخور شاكرة ،
ذفئا في العمق ، وللعشق نافرة ،
فأين لك من القعر ، وللعشق قافلة ،
وأين لك من القمة ، وللأعالي هبة ،
فليغض أمثالنا الصرغ ، ويلتهبوا الشغف ،
فالعشق حتى وإن ذوى غيته ،
وإنسكب يأسه ، وإنكب لأسره ،
لغدى كحولا ، وأصابه الشره ،

فلولا العز ما تبقى من الشرف
وللمرئ خاتمة ، و الظن به كنف ،
فهيا أغفو ، فالنوم لا يجوز في الغرف ،
القمر سابح في الهمم ، يحاكي الثلف
والقفر مبتهج في غناه و في الشرف

فغنوا معه ، وأرقصوا على ألعانه
فالحياة حانة و البشر جارياتها ،
قد تتملككم برقصها ، وقد تستعبدكم بمفاتها .

فغضوا البصر عند ملاقاتها ،

فنظر في عينيها ، إنسحاب من هطابها !

إنسكبت الألمان فوق الصخور فنصهر الشعور باد
عليه الخسوف ، وإنطمر تحت أنقاض الحجارة ، كجثة
أثقلت بصخور بعد آفولها.

فسقط المراهق راكعا ، أعياء الوقوف ، و قدماه
مجمدتان ، يتسرب منهما أثلوجة روحه الباردة ،
على سفحه العزيز ، ورؤية مألوفة لذلك العمق من
الوادي السحيق ، يزيد من الجمود في الأقدام ، فتعجز
عن الوقوف ، حتى وإن وقفت بذت ثملة
تتراخى قوامها ، فتميل يمينا شمالا !

فأخذ يصحصح ، من ركوعه ، باد عليه مشقته أثناء
الوقوف وبعده ،
وبعد إغفاله لعناد سريرته ، أخذ يفاجئها بوقوف
المفاجئ ، حتى أنه تألم بعد ذلك من طول الجلوس !
فإنثقت أفكاره ، و إنكبت إلى الخارج في مهمتها لإبطال
الجمود ، مسفرا عن توجهه الى الغابة بإتجاه
المنحذر
وفي طريقه ، إنثفض شيء أشبه بفئران من بين الجحور
، بل من بين الشجيرات ، فيصرخ
هوووووو ؛

برعم طفل إستقر عمره في الحادي عشر ، وربما أكثر
، باد عليه الكوميديّة المرحة ،
فقد حاول إرعب المراهق ، و اكسابه صفة الجبان ،
ولكن المراهق لم يبرح مكانه ،
فقد ألف المخاطرة ، و ما من شيء أسوء في رأيه
من أن تكون مجرد فأر لم يجرب مطاردة قط.
لم تكن ملامح الطفل بادية ، بل منقشعة ، بشعة ،
حتى أنه بدى من غير ملامح ، فقط جسد إنسان يندم
ملامحه...

وفي لحظة أخذ البرعم يهرع للهرب ، راغبا في
مواصلة لعبة المطاردة ، فيقول للمراهق "
هيا أمسكني ،هيا أمسكني أيها العجوز !
فيستجيب المراهق للنق ، ويسرع في إتباع البرعم
بين شجر الغابة ، فيصرخ البرعم من وراء الشجر !
لن تمسكني ! لن تمسكني أيها العم!
فيشحن غضب المراهق ، فيسرع للركض بإتجاهه
ليمسكه و يزف بالضرب على أعضائه.
وبعد ساعتين من البحث إنقشع البرعم ،
وإختفت آثاره ، وإنهال الملل على كتفي المراهق ، فبدى
له الأمر كأنه يهلوس في وضح النهار...

فما بقي في أسماعه سوى رنين " أمسكني "

وما بعده إنجلي.....

شيخوختى

« إسودة نكرياتنا ،حتى هرمت ،فما عاد بها الوقوف
طويلا دون ركوع ،دون أن تنهد كحلتها وسريرتها »

لقد طال المسير ،و النهار إنجلي بعدما أتاه

الليل ، كمن كان في النهار يبصر ،فغزاه الليل بكحلته
فاقذا لبصراه ...

فقط تحت شجرة العجوز ،تبدو من بين من أفقدهم
الزمن قوامهم ،حتى ما عاد فيهم من أوراق سوى
أعواد... فنخلعت سريرته ،و إرتمى في حضان النوم
وذفته ، فأغمض عيناه في ثعب ،و جمد جسده في رهق
،كأنه جثة تقيأها الزمن لعفنها ،لا تصلح لمقبرته....

عند الفجر ،مع طلوع الستار ، حينما بدت الحاملة تبت
سحرها في أرجاء ،فتضع القليل فوق المراهق فيزداد
مراهقة ،ومع ترنيمات العصافير و أناشيدهم المبعوثة
من عند القدر...

نفوح بعطر خلاب يكسب الصباح جمالا ،

و تمسي في الضحى نشاطا ،
فاستيقظ المراهق من بين الدفئ الحالم ،
ومن فرط سخونته ،فتتكسر لياقته ،و يعجز عن
الوقوف ،كعجوز ،ما بقي له في الحياة سوى الدقائق....
ليبدأ في الزحف كأفعوان لم يجد من غير الزحف
مهربا..حتى وجد نفسه قريبا من نهر جارٍ ،
فأخذ يمد يديه ليشرّب ماءه ،و يروي عطشه ،و يغسل
وجهه وروحه،وعند إنتهاء ،
إنصدم الفتى ؛ لقد أبثر جوه ،
وإنفطرت روحه ، ما عاد يملك سحرا ،
لقد ولى عجوزا ،مفتقدا لمراهقته...
فيصرخ من العجب!:
أين انتي. يا من وددتي الزوال باكرا !
أين انتِ يا مراهقتي ؟ يا طيشي ؟
فينهض مقاوما لعجزه ،فيمسك بالشجر ،
ويقول:
أين أخذتي مراهقتي ؟
أعيدي إلي ما أخذتي ؛ لا أملك شيئا سواها !
إنها مراهقتي ..

فينزل العثاب من الأعالي مكسرا قوام العجوز ، فيسقط
على أرض كمن شقه الألم نصفين..

فجأة

وقف شيخ في أربعينات فوق رأس المراهق الشيخ ،
و بدى له يماطل واقفا يصعب عليه أن يعاند عجزه
وهرمه دون أن يسقط ، فقال :

أيها الشيخ ، ماذا بك ! ألم يصل فيك الهرم الى القعر
، وأنت تعاند لتبقى واقفا ،

تم ما لبث حتى إنقشع من أمامه ، وإرتطم به طفل في
الحادي عشر سنة ، فيصرخ في وجهه !

يا لك من فتى قبيح ، حتى بعد هذا العمر الذي توجته
بالنسيم ، ما عدت شيئا ، مجرد مراهق تعيس ... فيهرع
باتجاه الغار ، كأنه هو المراهق نفسه...

وبعد جهد جبار من الفشل الذي بدى ناجحا منذ البداية ،
وقف العجوز مرتعشا ، وبيده غصن معوج من الشجر
الميت ، فما عاد له من يحمله سوى تلك العصى ،

فإلتمس أعدار ، ليمسك بعصاه ، و أخذ يخطو إلى غاره
، وبعذئذ ، و عندما وصل لمنتصف الطريق على
بعد خمس كلمترات من غاره العزيز ،

إنسل الضياع إلى فكره ، و تيه المراهق في دوامة
شيوخوته ، فنفجرت ذاكرته و ذاعة جميع أفكاره ،
فارتطم بحائط النسيان ، و ما عاد له من شيء ،

سوى أن يستمر في المسير إلى أن يتذكر ما نسيه !

ففي لحظة يسأل من أنا ؟

و أخرى يتعجب أين أنا؟

حتى أنه نسي من يكون كمن سقط على رأسه وسط
الوادي فما من شيء يتذكره سوى ماء المختلط
العكر !

عند السفح و بين الضفتين تواجد الشيخ ،

و أعيد نفس المشهد ،

ولكن الضفة الثانية كان من المحتمل أن يرى فيها
المراهق ، بطيشه و مراهفته ، ولكنه لم يره ، لم يأتي الى
هنالك !

لقد جن المسكين !

وفي تانية من الزمن تقدم إلى أمام في إنبساط لناظريه
، ينبش عن صباه في الضفة المقابلة ، حتى إنزلقت

رجلاه من أعلى السفح ،ولقي مصرعه في تلك الثانية
بالضبط ،

كم كان تسلقه قبيحا ،وكم كان إنزلاقه شرسا ،
حتى أنه أقنع عاطفة القدر بإنزال القليل من الذموع عند
التدحرج ...

لقد إنعدم صيت الشباب ،والمراهقة معا !
حتى الشيوخوخة بدت مؤرقة الى درجة ما عدت أحتملها
أنا بنفسي ؛

إنتهت الدرامي و مات العجوز الذي ظل سجيننا لنفسيته
المراهقة !

بعد أشهر من السبات العميق ،عاد السفح بضيف جديد
،ولكنه لم يكن مراهقا بل كانت مجرد فتاة !

من نفس الجيل الذي ولد ولا يزال يدفع ثمن ذلك

شيخوختي

هذه المذلة التي أعجز عن مزاولتها ،
إنها تبدو آخر أشواطنا قرفا ،وربما ثعبا ولهفا لزوال !
إن أسوء ما قد تلده الأقدار ،يتيم في بطن حوت
جائع ،قد أهدمه المحيط رشقا بأمواجه ،

لماذا لا نموت ذون ان نشيخ ؟

فهل مقدر علينا الموت ونحن نتعذب ؟

الشيخوخة في الصغر ،كطفل عجز عن المشي في
الكبر !

إننا نحاول أن نعيش ونتكيف مع الوضع ،إنه رغم تلك
إنسلاجات الوقحة التي تبدو قبيحة في قوالبها الكوميديية
، لهذا الوجود العبيثي ،فإننا نماطل في العيش ،لأننا
نتنظر أن نشيخ بكل بسالة ،أن نحمل أناقة من جيلنا
السابق ، تلك العصى التي سرقتها من جدك عندما كان
نائما ،و ضُرْبَةٌ من أجلها !.

نعم هي ! سيأتي الليل بنهاره ،فيصرخ عليه قائلا :

أيك و الخروج الى الخشبة حتى يسمح نقيق الضفادع
،فتصدم الهواء برطوبتك ،و تنقش ظلمتي و حلكتي....

هذا النهار الذي يأتي دائما في المساء ،دون أن يميظ
اللثام على جماله ، فيخفيها تحت جلبابه مقنعا الوجود
بمنظره البشع !

حتى هذا اليوم لم تبدو الشيخوخة إلا كدقيقة التسعين
الباقية من حياتنا ، تلك التي نزاولها بكل تعب،ولكننا

نماطل في البقاء أحياء ،حتى وإن زارنا العدم في المنام
قلنا له ،عد فيما بعد!

ففي لحظة يقف فوق رأسي فيغمزني ويسحر عقلي
فتنهال علي الكوابيس ،فأجبر على الرد عليها بكل
برودة ،فأستجيب للعدم فأنطمر داخل قبوري تلك الثغرة
الضيقة التي لن تحلو سوى لي أنا الذي لا يحب سوى
الزوايا

فعندما قوبل المشهد بالرفض إنتهت المزحة وداع طيش
الكوميدي ،فلم تعد تطاق أبدا ، حموضة في الذوق العام
،لا بل حتى الجحيم تذوق القليل... أحسست بالذفي في
مرقدي ،حتى بعدما شاخت أعضائي ، لربما نقيق
الضفادع هو من حممني و ربما نحيب العجائز هو من
أوصلني الى تلك الحوالي !

كان الكفن يفتقد جثماني عندما عادو به فارغا ،حينما
طمروني تحت أتربة القاسية ،كنت ضفدعا يحاول
النجاة من بركته العزيزة ،رغبت في ألا ينقذني خيري
أبدا ، لألا أعود بخيبة أمني تلك،

بدوت مقتنعا بشيخوختي ،و عقابي معا ،

لقد ولدت بعقابي و سأموت لألاقيه في مكان لا أجد
أحدا فيه سوى الله .

كم سيكون العقاب الثاني آسيا علي ، وأنا لازلت أتجرع
عذاب الحياة من عقابي الاول!
كم من المآسي يجب على أن أقاسي ،
لأدفع ثمن وجودي ، و غباوة إرتمائي !
كم أربعين عاما ! لربما سبعين !
لربما إلى الأبد الأبد .

لا تحسو بالضجر بعد الممات ، فقبري لم يزين
بالورود، بل ترك مهجورا حتى قبل حضوري ،
كنت مهرجا لم يستلقي بعد على حبله العزيز ،
ليقع الجميع في فحه البهلواني ، لم أكن قادرا على صد
شهيتي في أن لا أسقط من عليه فألاقي العواطف
جميعها... فتجتمع فوق لي لتقول "
أوووه سقط المعتوه "

عندما أوصدت بابي في وجه الصبي ، طرقت النافذة من
بعدي ، فأرتمى الهرمُ يفتح النوافذ ،
ليغزوني في طيشه ويعدمي ببشطه .
فما يبقي مني شيء سوى فتات لن يحمله أحد من بعدي
حتى مناقير العصافير الجائعة.

إني لا أخاف إلا من أوصدت بابي على وجوههم لقباحة
فضائلهم ونزوعها نحو المشيئة الطبيعية، فيرتمون إلي
من بين النوافذ، ليفرغونها بين أخطيتي، فأموت في
حسرتي ...

إني لا أخاف إلا منهم، عندما أنتهي راقدا في قبوري
فيرتمي علي من لا رغبة لهم في العدم، ليواصلو
نحيبهم بعد موتي، كأني سأفتح لهم باب الجحيم
،ليموتو وهم أحياء !

حتى أن شعورهم بالإنسلا ب أثناء التنقح، يرعبهم و
ينسف أعماقهم...فلو خيرو ،لفضلو العدم وهم
ثمالي

لم أستعرض قواي على العجز بل قبلته كمن يستجيب
لنباح الكلاب فيهرع للنباح معهم ،

إني لا أحاول أن أقوم ، أنتظر فقط لقطة واحدة لسقوط
،دون أن أقوم أبدا!

إن هذه الثمالة التي ترضيني ،حتى وإن بدت من غير
كحولي ،فقط هي من تجعلني أسقط برضى ،

لألا أحاول النجاة تانية ،إن الذي يتمسك بالحياة
بأضافره الصدئة ،في لحظة عندما تسقط الهدية
،فيفتحها بحماسته المفرطة تلك ، ليكتشف ما بداخلها

فيتفاجأ بالعدم ، إنها مزحة إنقلابة على معقلها ، تلك التي
سيبدو فيها منفلة من حكم الوجود نفسه...

ويا للأسف لن تنتقه عاطفة القدر مرتين !

لم أبدو كشيخ قد أثملته الحانة بجارياتها ، فما لقي من
بعدها مهربا ، لقد وعدت نفسي بإنفلات عند كل قضة
، نعم عند كل قفزة من الغرق في تلك البركة الموحلة
، لا أحتمل نفسي حينما أستشعرها تقاوم لتعيش ، بل تبدو
مذلولة تعاند لتستمر في البقاء ، بدوت لهم كذلك !

لم أقلع عن العيش ، فقط أقلعت عن الحياة ، عن تدخين
تلك السجارة العملاقة التي لا تنقضي إلا وهي تستنفذ
أنفاسي كلها...

القدر كبح جموحي لألا أتنفس سوى تحت الضباب ،
بين الغيوم الوردية ،

و الطيور المغردة الشجية ؛

بين ألحان العصافير و صفير لرياح المغردة

إنها أفضلية البقاء تحت السحب ، فأكثر من طَفَى فوقها
إنكَبَّ سَاقِطًا قد نَفَدَتْ خِبرَات تحليقه...

ما عاد يُجيدُ شَيْئًا في التَّحْلِيْقِ سوى السُّقُوطِ بأسوء
أَفْطَةِ قد تُلْنَقَطُ لَتُوضَعَ فوق تَابُوتِهِ..

المُرْهَقُ

إنصباب من جحور الخلاص باعثة ،
وهج الشقاء ، فَوْقَ جِثْمَانِ غَطَّتْهُ أَثْرِبَةُ الْمَسَاءِ الْبَارِدَةُ
،تحت أنامل القمر الساهر ،
وعند رجفة من أعين الليل النائم ،
يغط فوق سقف صفيحته المعدنية ،بجانب واديه العزيز
،وأعين ترمقه من بين الشجيرات ،
كسيوف ترشقه بغثة، فتحدث ثقوبا في أجتمته فتنتثر في
أَرْجَاءِ فَلَا نَهْرًا جَارِيًا يَسْحُبُهَا ، وَلَا رِيَا حًا طَائِفَةً
تَحْمُلُهَا ،

فويل لمن لا يرى في الطيور سوى المناقير !
ولا يرى في الأجمة سوى القوارير ،فمثلهم لن يرو في
الحراب ما قد يجعلهم يطيلون النظر ،نظرة واحدة
،ويميلون أنفسهم هاربين ،
فيقولون : ليست تلك قارورتنا، ولسنا من نتألم !
هُمُ أَوْلَى بِالْإِنْعَادَامِ !

أتعلمون أن أسوء من ولدو الى هذه اللحظة غير قادرين
على العيش مُستقرين ، بل دون أن يَكُونو كذلك
،يَجْلِسُون في إحتيَاط دَوماً.

عندما أضْحَى المَساء في داخلي ،ما عادت شَمْسِي
لَتُشْرِق ثانية ،كأنَّ السماء لتبدو فارغة ذون سُحْبِهَا ،
حتى الزرقة بدت بشعة عندما أَلْفَتُ البقاء جالسة
فوق ...

أخذت أستلقي فوق الصخور الباردة ،رَغْبَةً في
إِنْصَهَار حَرارَتِي و إنسلا ب حَرابي ،
فحط طائر فوق جسدي يَسْتَعِدُّ بكل فُحْرٍ ليضع بيضتيه
فوق بطني ، متحمسا لبناء عشه فوقي ،
فما أحسست سوى بالحرارة تنبعث من عمقه ،
كأنه ينفثها بداخلي ،وربما يتخلص منها بإلقاءها إلي ،
فما وقفت محرقا من الذفئ حتى قرَّ هاربا ،
وهو يلاقي أنظاره بأنظاري ،كأنه يقول متعجبا ؛
يا له من عُشِّ زَلِقٍ !، ما عادت أعشاش مستقرة حتى
أنها ترغب في إِبِواء نفسها بنفسها بعيدا عن أحضاننا
نحن الطيور الجارحة
فما أَرْفَعُ أَنْظَارِ سِوَى من إِنْحَطَّتْ إلى القَاعِ !

فويلٌ لمن لا يَغْنِيهِ سوى الإنبساط ، فلا قدرة له حتى
على النَّظَر في وجه السَّمَاء ، خجلا من هبة أعالي و
رهابة من عمق السحاق..

كنت قد أمكست نفسي في إرتفاعها ،

حتى أنها رَغِبَةٌ في العودة الى القَاع ، لم تحتمل أشعة
الشروق على سفحي العزيز !

بدى الأمر مؤلِّمًا على شخص مثلي قد أَلِفَ المرتفعات
، وإمتطاء السفوح ، حتى ما عاد بي أن أَمَيِّز بين السَّفْح
و الخَيْلِ معا.

كنت طفلا عندما شَاخَ معاقلِي ،

حتى أن الحب الصبى قد إرتوى من عجزي

فما عاد به العطش لِيَجِبَّ ما يُجِبُّه الصِّعْرُ..

فالعقل إن عشق ، أهام القلب ، حتى وإن أهدمه

الزمن رشقا بأتعايه ...

فلو إرتضى العمر في إنقضاء بعثة ، لغنى الجسد ،

أناشيد البقاء ، واللقاء معا !

، ورقصت الروح على أنغام الخلاص داعية لدفى
الأحضان ،

فويل لمن إشتاقه أنفاسه لمثل هذه الأحضان ،

فإرتماه في أي وكر باحثا عن الذفى ،

كالبحت عن اللحم في وكر الذناب !

إن زورقنا العزيز غير قادر على تحمل تلك الموجات
التي لا تنفك تكسر حيل السفن جميعها ، فالجدير
بالإبحار من له زورق يصد أمواج بشراسة فيشقها إلى
نصفين ، ليأخذ وجهته لوحدها لا أن يتتبع مسير السفن
الأخرى...

إن النفوس لتبحر جميعها ، فلا ينجو من الغرق سوى
من يجيد الغرق !

قد تغفو وبين القيلولة تتوحد أنفاس لتولد أنتِ الْمُخْتَبِقُ !

ألم تشعر يوماً أنك في حاجة ماسة لتَقْيُو ، لإخراج كل
تلك القَتَامَةِ النفسية التي تَحْفُرُ بداخلك مستعدةً لِتُحْدِثَ
تُقْبًا فَضِيحاً و غَائِراً في أعماقك، لمجرد أنك في لحظات
إدعيت القوة وإبْتَسَمْتَ ،

إن الذي لا يجيد قول الحقيقة يدعي القوة

بسذاجة أنه أقوى لأنه يتحمل !

كَفَاكَ ا هُرَاءِ يَا هَذَا !

إن أضعف الخلق من يَسْدُلُ سِتَارَهُ على مسرحيته
بدعوى إنتهاء العرض ، بينما العرض لا يزال في
المنتصف ، حينما فشل الممثل في تأدية دوره

...

كنت طفلا عندما ألقيت الى الجحيم بل الى قعر الوادي
السحيق ، لا أعلم من يمسكني ، ولكنني شعرت بالدفئ
الأحضان تلكمني ، فتبعدني كأنها أوصدت الأقفال على
أبوابها حينما لمحت بشاعتي! كم من مطرب غنى
للحياة ففتحت له بابها فولى لصا يُسرف في التَّغني
بجمالها.

ونحن بالجمال ننفر من أثعابها ، فلا نكون سوى من
باستطاعتنا أن نكونه !

رغبة تمُنُّ علي برحابها حتى أنها إلتصقت بأعماقي
حتى شعرت بزوع الى أن أكون من لا تنتشيه الرغبة
ليكون شيئا ، ذلك الطابور على هامش الشارع ، تلك
الأنظار المنسحبة من الحياة ، من كل شيء .

تلك الزهرة التي لا تسقى ، ولكنها تبدو متكاسلة لتمضي
ما تبقى من وقتها وهي تحاول النجاة من

الذبول ،

إن لم تبدو الحياة كافية لك زد النون ،

فالوقت بدي مغريا لي ، في التواني التي إحقرتها من
قبل !

إن الزمان ليبحر طولا وعرضا دون أن نعثر على
ضحايا الغارقين ! وحتى الناجين منهم لا يهم !

المهم أن من يطفو هو من يريد النجاة ،أما الغارقين
مثلي فلا حاجة للبحث عنهم بين قناديل البحر ، فالغرق
هواية لا يجيدها من يخاف أعماق !

و حتى من ينبش السطوح !

مهما كان القعر غارقا ،ومعتما ،لا نكف عن النبش في
أعماقه ،فنحن أشبه بالخنافس تنبش الأرض لتبحث عن
مأوى لها ، لا تخيفنا الظلمات ، لأن الليل مأوانا عندما
لا يصلح لنا النهار..

الكل إنسحب من الوجود ،بكل سلاسة ،

بكل فضاة قد أتملة أجواء المقابر !

فالجميع أخذو الى إنعدامهم تلك الحروب العميقة في
أنفاسهم ،فلو استطاعة العفن ، لما بقي في الجو متسع
لينفثو بخارهم !

فالغد يومنا ،والذاكرة يومهم !

..

الخراب

إننا لنبدو كتلك الجثة المنبحة على أرض قد أسرفت
في الحياة ، في حربها مع الحياة، ولكننا لا نزال واقفين
رغم رغبتنا في السقوط دون قيام ،دون رجعة ،

إن أي قيام مسفر يحمل في أعماقه بقايا الخراب أثلجة
أعماق فما بقي لها سوى ان تقول دعه لمصيره!

إن أفضل ألا نقوم حينما نعرف أننا سنعاود السقوط
بأسوء من السقطة الأولى !

فالسقوط يكون مخربا ،وما بعده يكون قاتلا....

لن أحاكي السماء لأنفت خرابي في أجواء فأعكر
صفوكم، ولن أكبت شري فأعود قاتلا لخيري !

فأي صعود في الأجواء ،يئقل كاهلي ،

واي نزول إلى الأعماق يصد جموحي ،

فلا رغبة تميظ اللتام أكثر من الإلتقاء بأعالي ،

فالكل لا يجيد النظر سوى الى أقدام،

مات العلاء ، وإندلج الرثاء في أجواء فرقص النسيم
وبكت الأزهار حرقة ،

واقته المنية على سطحه السفحي عندما إنشغلت أنفاسه
بحساب النجوم ، وعندما توقفت أنامله سقطت نجمته
الموعودة ، فإنعدم قبل أن ينعم بسحرها الآخاد ، ومات
مبتسما ، كأنهما إنقيا في الطريق !

جاءني الليل ليبلغني بوقت العقاب !

بنهاية مسرحيتي و قدوم العتاب ، واقفا على شرفتي
يلمح رثائي ، الشرفة نفسها لم تتحمل كل هذا العذاب
، بقي الليل سامرا أجواءه في وجهي ،

فما أدار ظهره خجلا من كل هذا البلاء !

فأي ذنب هذا الذي يستحق كل هذا العناء ..؟

إن أكثر من يبدو صامدا طوال الوقت ، واقفا لا تسقطه
أقدامه ، في تانية يقع فلا هو يقاوم ولا هو مستسلم...

من أنت ؟ سؤال بسيط أخبرني من تكون ؟

لا تعلم ستحاكي أعماقك و ستبوح بإسمك او مظهرك
ولا شك ستتباهى بكونك إنسانا !

أيها الصغير لا تزال طفلا على هذا اللعب الصعلوكي

أعلم أنك غير قادر على أن تكون سوى نفسك ، لدى كن
قنوعا بقباحتك الوجودية ، عندما سيلقى بك الى هذا

الوجود ،كصخرة أرتمت من اليابسة الى قعر المحيط
دون أن تعلم أنها ابن غير شرعي للمحيط !

إنهم متلهفون لهذه الحياة ، يريدون العيش و السعادة و
الضحك وكل هذا !

إن فخامة الوجود لا تلد سوى من لهم القدرة على
الزوال !

إنها لتجهض من لا قدرة لهم على الزوال ، بل على
إنعدام بكل بسالة ،

فسرب إن علا و أخذ في الجو يمطر ! لن يرى من في
أرض ما قد يراه يسقط !

حتى الآن وجد من يعاند ،بل يقاسي إنعدامه ،مخالبه
الرثة التي يستحيل معها إنفلات من العدم ، في رغبة
متشعبة لإكمال الحياة ، بأزهار ملونة و سحر براق
كانت الحياة تفتقده ،

فما يوجد بعد الحياة ؟

مصير ذابل لتلك الزهرة التي لم تسقط سوى من فرط
حماستها لتعيش حياة ثانية ،بصفة ثانية ،ربما إنسان
،وربما حيوان ! ..

الأكذوبة الرعاء التي بيدها يمسك البعض ، كأنها
الملمس الناعم ،بل تلك اليد الفاتنة الرطباء لتلك أنتى
التي تقع في قعر المحيط ،فتصبو إليها أيادي راغبة في
إنقاذها من الغرق ،فتتملص أيادي بفرط إحتساءها

للدسم ، فيغرق المنجد ، بل يقع في فخ غريزته ، هذا
الصياد البارع الذي لا يخطئ سهمه ؛

في هذا العالم ، كان النسيم ليتجول لوحده ، وكانت
أشجار لتلد صغارها دون أن تحتمل فراقهم ! وكان
على المرء أن يبلغ من المقام ما قد يجعله هو المقام
نفسه ، الذي تخشع له أنظار ؛ ما عدى أن كل الخراف
بدت تحب نفس العشب ، بل نفس النعجة ! الكل يرى
في الحياة دسامة حلوة تغتني بها أجساد متلذذة بغريزتها
البيكماء ،

فويل لم إنحطت سريرته الى القعر ، فما عاد لأمتالي
سوى أن يعطو عليها..

يا أسفاه فقذنا روح الشغف المذفون !

يا اسفاه فقذنا المفقوذ الفقيد !

إن أكثر المنحطين بشاعة قد إنهزمو بكل بطش أمام
غرائزهم ! إنهم اولى بزوال !

إن ما بيد المرء أن يكون سوى نفسه ! فالبطل و الخير
و الأخلاقي ، متمنيات أثلجت صدر الواقع ، فما عاد
قلبه الضعيف إستحمال كل هذه الأكاذيب ،

لقد ولد من كبد العهر ما قد تكذبه العيون ! والقلوب
معا !

فأي من المرء يسرق شرفا ، فيعود الى الحياة بإسم
الوفي النجال !

وأى من لاقاه فساده في الطريق فطمره بغتة في
أعماق المحيط فأنجب من العهر سربا وأخذ يسكب له
خمرًا.

إن الدي يولد خائنا يموت بوفاء !

لقد إبتسم الوجود ، وإنقطع سيل الذموع !
بدى العالم كفيفا الى حد أنني شعرت بالضحك تحت
أقدامى !

ألم تنجبو من يستحقون القمم ؟

ألم تنجبو من سلالتكم من يطير في السماء دون مظلة !
أعلم أنكم لن تفعلو ، فهكذا أقدام تخلف من وراءها آثارا
تحفر فوق القبور ، تلك هي آثاركم ،

فمن يلد الخونة لا يفترض به أن يكون صالحا !

ومن يلد العاهرات ، لن يكون سوى زائرا لإحدى
الملاهي الليلية... وربما صائد كنوز من النوع
البشري !

إن هذه البشاعة التي إنفطرنا عليها منذ أزل لن تكون
سوى البُكم نفسه ! السعادة كذبة خلقها الضعيف ليست
جوع ألمه ! إنه أولى بأن يعيش طوال حياته وهو
يطارد من قبلها !

لما أنت موجود؟

لقد أخطأو عندما إجتمع الجنسان ، في محاولة لإنسكاب
الغرائز ، إنفلت القليل من الطيش من تلك الغريزة الفاتنة
فأخذت الخطيئة في التكوّن !

إن أبشع المناظر سخفا في هذا للوجود من يصدق بأنه
الموعود ، ! تلك الرغبة في إيواء طفل لعين ، بل في أن
يصير إنسان أباً،

كم من المرء قد أثمله الوجود فأخذ دور

أبيه في زيارة الحانات !

مجرد كذبة ، بل مزحة في قلب الكوميديّة الوجودية ،

نولد في أسوء الحالات ، تم نشيخ في أغلبها ، تم نموت
وننعدم بأقصاها !

نرتمي كسمكة ملت من إمتطاء الأمواج الى اليابسة
فتحرقها كأنه عقاب من تجراً على غير أمواج !

إننا نموت في نصف الثواني الحية !

إجتمعت حولي سنابل من القمح يحركها نسيم ، فإن
سألتها تميل خاصرتها كأنها تحيد الرد السريع !

فما أنت برأيك تجيد ؟

لا أحد يولد مشؤوما ولا أحد يولد راقص ملاهي ، ولا
أحد يولد قبيحا !

فالعيش كضفدع بركة موحلة ، أشبه بخائن يمتهن
إخلاص في حضيرته إجتماعية ...

جميعهم أرادو العيش الهنيئ ، والسعادة الزائفة فارتدو
الحجاب بدل العفة ، فغدى الشرف ينزلق من تحت
التياب

الإنسان يولد ، من أفضل الا يولد على إطلاق "

كما يسير القطيع ، فالיום إنسحب العلى من أعالي القمم
وأخذت الأعماق تنذر بفسادها الوجودي ! لقد غدت
الحضيرة ملهى ليلي يتهافت عليه الحمقى ليثملو
عقولهم !

وما كنا نحن نريد من العقول سوى أن ترتقي ، وبها
الرقاء تلتقي ، فالقمم حتى وإن بدت شاهقة تعلى من
فخامة الوجود و تنفخ في الصدور عظمة تعلى على
القطيع !

فهيا إنعدمو فالوقت لا يجبر خاطرا ، و الحياة لا تفتقر
الى الضعفاء !

فأسوء من يجيدون الموت ،لم يبطلو رغباتهم في
الهرب من القمم !

لماذا كل هذا العناء !

من أجل الموت بسلام !

إن العلاقات بين البشر ،ما هي إلا خدع في صفتها
المحتالة ،فإن غدوت منحطا ، وربما كاذبا وحتى وفيها
ومخلصا ، لن تكون سوى بقرة تسرف لمالكها
الحليب !

الضعفاء عندما يتعذر عليهم فعل شيء يصنعون بعض
الأوهام ليسدو ثغراتهم ،ومن بينها العلاقات ،الحب
،الصداقة ،،... الخ

أكره الصداقة ،لأنني لا أجيد إمتطاء الساعد ،بل لا أجيد
التعكز على تلك العصى الحية ...

إن أسوء من ولدو لهذه اللحظة ، لم يولدو سوى وبيدهم
عصاهم المعوجة ،...إنهم أولى بإنعدام!

أحب من لا يملك شيئا، هو أولى بالزوال،

أحب من لا يملك شيئا ،لا ينتظر شيئا ،ولا يرغب في
التملك ،

هذا الذي ليس له في الحياة سوى سمك رقيق ، ينتظر
نهاية التي لم تبدأ بعد ، من أفضل لكل التصرف

بلاشيء تلك. إنني أحبها و أعترف أنها أفضل من كل شيء!

فإرتماء لم يتطلب سوى نفس !

وبالنفس نفسه يلزم للزوال !

الحب رغبة جشعة في التملك ، في السيطرة ؛

إنه سحر ينفث الغباء ، والطمع في الإنحياز !

**

الحب هو تبادل الرهائن بشكل عكسي !

إن إنداركم من أعالي نحو القعر في أي معركة

،مقتنعين ببساطتكم وبصلابة مدافعكم ما هي إلا

الهزيمة نفسها.

على إنسان أن يبقى شامخا، الحرب لا تعطي الفرص

حتى ولو لتغض البصر !!

يؤسفني أن أرى من لا قدرة له سوى على النباح وراء

القافلات ،

يؤسفني أن أجد نفسي محاطا بمن لا يرون في الجسد

سوى أشباعا جنسيا...

يؤسفني من توج نفسه قائدا فولى بعدها مستبدا ،يرى

في نفسه الحاكم الذي لا يخطئ..

يؤسفني أن أبصر أشباه المتقفين يتلصصون وسط
التجمعات ،ليقتنعو أمتالهم بوعي الزائف ،و ثقافتهم
المشوهة...

الإنسان يولد منقحا ،فيصير حقيرا ،تم لا يلبت ليكون
أحقر مما هو عليه....

المدفون !

إن الورق ليطير بعد السقوط ،لتحملة ألف ريح
،وليكسر ألف تكسير ، لا يهم مجرد ورق لعين لا

نبالي !

كان الجو صحوا ،ربما ! لا أعلم ما كان يستهوي
عاطفتي أنذاك ! إستيقظت من غيبوبتي التي أبت أن
تصحو مني ، فرتكن المراهق في الزاوية وهو يكلم
نفسه فيحاورها ليعود له القول :!

إن إنصباب الدلع في تلك الكبد المهترئة لا يجعلك سوى
خروفا حينما يوضع وسط الغابة وبينما الذئب والأسود
تلاحقه ، هو يقف جامدا ،لقد منع من الحراك ، بل أبطل
الحراك نفسه ،لقد إقتنع بأن الحياة تمزح معه ،أو تعطيه
درسا ،

إن هذا إسراف في الثقة ليست أخلاقا بل سذاجة عفنة
نفسها ؛ فأكثر من خدعو إدعو أخلاقهم النبيلة بدل
سذاجتهم تلك !

فأوقات تصنع العظماء و قد تصنع الدلاء أنفسهم !
هكذا إنتابني القرف بل إتسعت ثغرة أعماقي لينجذب
إليها الكل ، ما عدا أشياء اللائقة ، تلك التي تصلح لكل
شيء ، بل نحن نظن أنها كذلك !

، كادت تمطر فوقي ، بعدما تراكمة تلك الغيوم و
أخذت تتمعشق فوقي ، كأني محتاج لأرى الرومنسية
أمامي ، بل لأرى أشباه من لم يستطيعو العيش
لوحدهم !

كنت طفلا عندما أحسست بالأحضان تغادرني ،حتى
أنه كان بمقدوري الجري وراءها لأستعيدها ؛ ولكن
قدماي كانتا في الوحل ، لا لزوم لتحرك وأنت موحل !
هذا الجمود العميق في كبد الشؤم نفسه الذي دعاني
يوما للفطور فرفضته قائلا ،لست ممن يفطرون صباحا
، فيعود للمساء بنفس اللهفة في أخدي الى المحيط ليلقي
بي الى جهنم !

إنني أستهوي الجحيم حقا !

أي إنفطار في معشق الوجود أظلمته،وأكلته ،حتى
أعميت بصيرته فعاد به العمى يبحت عن ثأره !

إنسحاق في كبرياء الوجود يصنع من لهم في الوجود
سوى أن يثعبو ؛ فلا حاجة ترهق الميت أكثر من قيامه
ومعاودة قتله !

كانت الظلمة لتبدو مقرفة لولا مباطلتي في المكوت
بجانبها ، كانت لتبدو شرسة تقصد كل جسد فتنثره الى
فتات يصعب على الطيور حمله بمناقيرها ! فتزج به
في سجنها ، وتنسيه وجع رؤيتها ! فيموت بفرط
مرارتها ،

فهل لكم شيئا من حبها ؟

كانت في السبات الطويل حاضرة وفي الغفوة ماطلة
تقف موقف الحب الصاعد في وجه الحياة ، لتمطره
برفضها ، وتمونه بعشقتها !

عندما إنتهى وقتي ! نعم ، حينما غفوت للأبد ، دخلت
الى ظلمة أبدية لم أجد النور هناك ! لم أبحث عنه أبدا !

ولكنه من بحث عني ،

بدى الحفار قلقا من جثتي حتى أنه طمرني ككلب مات
دعسا وهو يقطع الطريق ! لقد وضعت بجانب غاري
بل حفرتي ، وبدت لي الأقدام تتناول في دفعي لأسقط
كشلال أمطر أرض خلودا فما عاد به الورد يستجيب
للأماني ! شعرت بالقليل من التدرج عند العدم ،

لقد أسرعو في طمري ، بكل بسالة أسرعو لينهو
طقوس موتي !

كانت دقائقهم غالية الى درجة أن الحفار قد نسي قراءة
سورتي ،! لقد قال في عجلة دون أن يلاحظ أحد :

لك الجحيم أيها المطمور ! لك الجحيم !

أنفقت الوجود ، وأنفقتنا معه .

لقد نفذت صلاحيتي في هذا الوجود ، لم تعد كلماتي
لتبصره بعذئذ ،

إن ما يبئري عقلي من عقله هو سؤال يؤرقني طوال
الوقت !

مالدي يصد الحفار عن منازل الكوابيس مثلنا ، لربما
تعود على منازل أموات في كل ثانية يعيشها ، لربما
جهز لنفسه قبرا يليق بالحفار وحده ولم يسرف في نشر
هذا السر !

كان من أفضل أن تظل بعض أشياء مدفونة ،

لألا يلحق العار بأصحابها ... !

! لست ممن ينصحون بالتوقف ، واصلو قتلي ، أترون
تلك الدمية في الطريق ، نعم هي ، إنها لتبدو صالحة في
كل زمان ، لكل طفل قد يتمه العهر ذبولا فما عاد به أن
يزهر ثانية ،

لا أجيد النصح ، بل النصح على مشارف إنتحار
ورغبة في العدول عنه ، أجدها مستهترة وبعيدة عن

أعماقى...لربما ما كان يجيد شيئا في هذا الوجود سوى
إنتحار بل إنفلات من قبضة هذا العدو الشرس المدعى
بالحياة،

إني أبرئ نفسي من هذا الذنب العظيم !

لن تنفع البراءة عند دخول الجحيم !

ثغرة في جدار وبصيص من الأشعة ينط من داخلها
كسرب لا يجيد في الحياة سوى الذخول من النوافذ ،تلك
اللحظة التي تبدو لحظة لص يسرق من الظلمة كحلتها
، ما هي إلا عاطفة نفسها !

فأي حب ما هو إلا أرض إستأجرتها أعماق لغير
أعماق

الكف الذي لا يصنع الرجال ،يصنع الحمقى!

غرق الزورق في أعماق فترسب العهر الى القاع،
فعكر صفو العمق ،و بدت تقاوم لتنجو بصفاءها ، حتى
ألقي من أعالي عظمة تسحب الأعلي ،فتنصبه على
قمة الجبال الشاهقة ليلقي فيما بعد سحره بل العظمة
نفسها : إنه إنسان !

فويل لمن لا يجيد الغطس سوى على السطح ،ففكره
يصعب عليه رؤية ما في أعماق ، إن الزورق لا يقف
إلا إذا همت به العاصفة ،وإنسان لا يجمد إلا وإن أتلجة
أعماقه....

فياكم و صب الحمم فوق الثلج

الطقوس !

حبل وريد ؛

رجفة أثناء إحتضار ،الكفن يشل حركتي !

الأموات بجانبني يصرخون لقد أتاهم من يشكو من
عيشه ،لقد إنفكؤ بصعوبة من أضافر الحياة فسقطو بين
فكي النحيب الذي لا ينتهي ،

كنا لنكون قبلئذ هاذئين نَنَعَمُ بسوءنا داخل الجحيم ،فما
عاد بالضعفاء سوى أن إنكبو علينا ،من كل مناحي
الحياة ،فمنهم من سقط على قبر يجاورني ،وبدى له
النحيب سهلا حتى أفقد الميت صوابه ،فما عاد يرضيه
المكوت داخل قبره ،فحمل نفسه مع أثربته الذافئة
وإنقل الى حفاوة الحياة بجانب

سفحي !

ومنهم من إرتأى جوه وإختنق رضاه ،

فنصبت دموعه وأربكة الميت،

فلحق به الطوفان الى الجحيم ،وحمله فوق أمواجه
ليلقي به الى القاع..

فرتضت الأنهار أن تبعث لي من لا يجيدون سوى

الغرق ،ولا حاجة لهم بفن السباحة فوق أنهار !

فما رأو من غيري من يحتمل نحبيهم ، و فضاة
أكاذبيهم ، فلا رغبة تحملني لأرد عن وقاحتهم
ولأنهض من كسلي الممتع ، فقط لأسكت جوعهم
الفضيع !

بدت الأنهار تبطئ في لحظات أسرعنا فيها لزوال !
كانت الطقوس لتبدو كعقيقة ولود إنفطر على إرتماء
ومعاودة التحاق !

بدت الحياة كما أرادو ، حفلات ، أزقة فارغة ، وحانات
، مقابر ، و جماهير تسكب لبعضها لتثمل ومن بعدها
ترحل !

لا نُذَكِّرُ إلا حينما نُصَبِحُ أموات !
لماذا هذا إهتمام ما بعد الموت ، أتظنون أننا سنبعدكم
عن الجحيم بفضل دعواتكم المزيفة !

كنا لنفضل ألا نتفرغ لأي إستجابة ،
مادامت أغلبها كانت مؤلمة الى حد النذم ...
طقوس الحب تدعو الزوار لإرتكاب الذنب
الحمرة شفعة للمنظر البشع ،
بل الرغبة إنتعلت خفي النذالة لإحتساء
اللباقة ، فأسرعت في إمتطاء الحب ،

إنهم يفتقدون للفقدان ،مادامو متمسكين في جوارحهم ،
إنهم يخافون من أن تذهب جميع أحاسيسهم سداً،ذون أن
يمسكو إحدى الذبايات بشراكمهم....

حينما إستوفى الفجر غفوته ، نط من أعلى قاصدا
،زرع العمر الجديد ،ونفسه إنقضاء لعمر مديد....
كان ججري في الفجر براقا. مادام لم تطأه أيادي
فتلوث تربته ،وينقضي عمري في تنظيف آثارها
كانت الشمس تقصدني فألتمس أحضانها ،فتحمر شفاه
أتربتي ، وتزيد حرارتي ،كحمم تنصهر داخل قبوري
،فأسمع طقطقة ، تدوي من الجوار ،
إنه جاري العزيز ،قد أفسد النباح طباعه ،
يقول في ثمل ، " إنك نفوح بالحمم "
لربما شعر بروحي تنصهر قبل جسدي ؛
وربما أنزل العقاب قبل أن ألبس بدلة عرسي !
كان ليتلذذ بنصره ،قبل أن أستعد لمنازلة الحمم !
لم أكن سوى إذانة بشعة لجسدي !
حتى أنه في مكان ما عند سفحي ،
أراد إلقاء بي دون عودة ،بل رميي بأبشع منظر قد
ينظر إليه من بعيد ،
فيقولون " يح منظر بشع " إنسان ملعون!

مقطوعة آزار

ثُراً ثُراً... ثُراً .

نعمة من قلب الولوذ تشع بريقا ؛

فبينهم الرضى على الأكتاف فتبدو كمن أثقلته السعادة
خلودا...

لقد جاء آزار بنفحة من عقب الورود نائرة أنفاسها
على قبري العجوز ،بدى الكل يحسدني حتى أنبلو
ورودي بأنظارهم ،..

إنفتح الود بدعوى النبل فسرق لبه ؛

فما عاد له من العمق ما يزهر به !

مات والذبول في أعماقه ،بعدهما إستعد جاهدا لينثر
رماده..

فاسْتَعِدُّ لطقوس !

راح آزار بإنقلاب كفتيه مع أسده وشبله ،الى سفحه
الشهم ،

فلاقى في أعالي من لا تحملهم أعماق فعاد من بين
الشجر يتقبأ مرارة رؤيتهم...

فما إستعاد نفسه وحضوره إلا حينما أفقرُّو السفح
،فغض البصرى وتوجه الى غاره !

في وقت بدت أرجله تألف وطأة الجبال ،حتى تغير
عليه الحال ،مفتقذا لغاره السفحي مادامت أنفاسه مفارقة
إياه منذ شهر !

فلحظة إنقشع حماسه وإنفلتة أقدامه ،وسقط على ركبتيه
وهو يعوي كذئبٍ فقد طريده ،

وهو يقول :

لقد أفسدو سفحي ! لقد لوثوه ببشاعتهم حتى ما عاد في
مقدوري معاودة العيش فيه !

لقد سرقو مني عظمة أعالي ،وهبة السفوح ،فتركو لي
بين الصخور ما يفسد فضائلي ،

فويل لتلك الأقدام التي لا تدرك وطأة أعالي ،

فأنفاسهم حتى وإن بذها الجحيم عذابا ستبقى تعشق
الفساد..

ترك آزار نفسه ،في جحره العكر ،وأخذ صفوة الغابة
لينتعم بجو المرتفعات من القعر بدل السفوح

باحثا عن مولده الأصلي عن فضائل نقية.. والظاهرة ،
ليعثر في لامكان عن أنفاسه الجديدة التي قد تلهمه
شغف السفوح ذون أن تطأها أعين ولا أقدام ...

فمن لا يجيد الحفاظ على فضائله ، لا يجيد صعود
المرتفعات !

إنطفأت شمعة آزار ، و مقطوعته العذبة الموسيقية !
التي كانت تسحر الأعماق بألحانها ،فتلقي في الجو
بريقا وهاجاً ينتزع من الجحيم عذابه ،
ويفقد للحزن أحزانه ، فيزرع في النفوس شتلة أمنيات
تُطِن طِيننا لتزهر ثانية ، كشجرة مانت لسنين وعادة
للحياة بفضل مقطوعة آزار !

كانت عصاه المعوجة التي إنفطر عليها عجزه !
هي نأية العجيب ، بل قِطْعَةُ الفَنِيَّةِ التي لا يَنعُمُ بالخلود
بدونها !

ففي لحظة إنفلات الشعور من سلطة العقل ، وأخذ غفوة
بين الضفتين متسطحا على بطن الصخور عند جرفه
العزير ..

فينشد :

مَشْيَتُ ، تم مَشْيُنُ ؛

التوقف كان صعبا والمَسِيرُ أصعب !

رجلاي تمنعان المسير

يريدان السقوط اليسير ،
دون عصى ولا كفيل ؛
بين أعواد الشجر الأسيّر !
أنعمْ بخلودي وما تبقى لي من بعده رحيم ،
فينهمر علي العسير وأنهمك في ضرب الكسير ،
فلم يعد له شيء ممن يسيل
دموع ، ومشاعر وبعض الترانيم
تطفو فوق الصدر وما بعده كمين
فهيأ أقفرو سفحي ، إنه بدوني لنيم ،
ولا تنسو أتعابكم فلا حاجة لي بالعبابكم
أي من بقاياكم مجرد لعين ،
فهيا نطو وأعلنو حرب السفير !
إن الحياة لا تحب من يقف وقفة السليم ،
بل تعشق من يخط برياحه النسيم ،
فينفث النار في أعماقها حتى تصبو لغير
الحريم ،
لتسكت عطش اليتيم ، من كبذ الحميم ،
فتزرع في حقله سم البكيم

فينقضي عمر السَّئيم، في البحث عن بقايا
العيش الكريم.

.....

إنتهى الرحيق وبدت أزهار ترقص طربا !

حتى زارها النسيم فحنت رأسها ،

وأتى من فوقها من يسير !

إياك و الإنحاء فالأرض لا ترفع الكسالى !

فالانبطاحك فرصة لمن لا يستحقون الفرص ليركبو

على ظهرك

عند أول سفالة ، أول سقوط ، أول خطأ ترتكبه سينكب

عليك من لا قدرة لهم على التحمل بدعوى الصلحاء

الراشدين الذين لا يخطؤون !

إن إبعاث ذخان مميت من أعماق المقابر !

لهو إلا جرعة تسبق الثمالة ؛

فأي خمرة يستقونها لأنفسهم ، وأي خمارة يلجونها

لأنفسهم ..

فهيا نقصد الملاهي الملى بالخمرة !

إنها لترضييني أمام تلك الخمرة العجوز الزائفة التي لا

قدرة لها على جعلني أتقياً...

إن النبيذ ليس أسوء ، بل أسوء هو أن تكون أنت النبيذ !

عندما إستترقت السمع بين الطيور المغردة ،
جالسة فوق أعصان مهترئة قد ملت من الطيران طويلا
،وأعيائها النسيم حملا فنكبت الى الغصن المهترئ.
فنفض المقترس على الفريسة وما كانوا من أصل نفسه
، غير أنه الذكر وهي أنتى !

بدى أمر عجيبا ،ما لم أتعجب منه بين البشر !
عند أول لقاء بين شخصياتي ،سأشعل فتيل الحرب
،وأجلس في الزاوية ،لأرى اقوى بينهم لتتصب على
عرش السيطرة ،فلا رغبة تمدني في إعطاء التاج لدليل
معتوه ،أو شره يركض وراء الأغنام !
فقط من يتوج حاملا لنسيم ، و نابعا لعبق الترانيم بل
هو المقطوعة نفسها.

هو من يصلح لسيطرة !

إن أول الثمالي لم يجد في الحانة سوى كوب عصير و
فتاة التي تسكب ! فعاد في ليلته ثملا فسؤل : من أتملك
وأنتلم تجد غير العصير !

فقال : أتملنتي صاحبة الحانة !

.....